



حجج واوراد

تأليف
محمد بن عبدالله الأنصاري
أبو عمر

مدخل إلى البحث

ثوابت الإسلام

ثوابت الإسلام

قبل أن تشرق شمس الإسلام على البشرية فتهبها الحياة الحقيقية ،
حياة الروح قبل الجسد ، وحياة المعنى قبل المبنى.

تقلب الناس فى شتى الملل والنحل بعضها سماوي يخضع لشرع ويؤمن
بكتاب ، وبعضها من وضع الوضاعين من ذوي الأهواء التي تتشد زعامات
دنيوية تغلفها بستر من الدين قيادة وانقياداً.

مما دفع بعض الأتباع إلى التمرد على هذه العقائد بين الحين والآخر
ولايكادون يفرقون في هذا التمرد بين ما هو حق ينبغى اتباعه وما هو باطل
ينبغى الخروج عليه شقاً لعصا الطاعة وكسراً لحواجز الخوف والمهابة ،
وتحرراً من جمود فكر أدركوه وانطلاقاً من قيود أسر ملوه وبفطرتهم
عافوه وأرادوا أن يهجرروه.

وعلى حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم أشرقت شمس
الشموس من جزيرة العرب تطل على الدنيا بأسرها ، أسى لما تردت فيه ،
وبغية تخليص العقول من الأباطيل التي اعشوشبت فى تربتها فأعمت
البصائر والأبصار وكان النبي الخاتم ﷺ سراجاً منيراً ونوراً مبيناً وكان
الكتاب الخاتم (القرآن) نوراً هادياً يُخرج الناس من الظلمات إلى النور
باتباع الكتاب النور نوراً على نور يهدي الله لنوره من يشاء..

فهدى الله بنبيه الأمة ، وكشف به الغمة وأنار عقولاً أظلمت ، وأضاء
بصائر عميت وخلص الأفهام من أسر عهود بالية وعقود متهالكة متداعية فحرم
الأقتداء بالآباء على غير هدى..

وألغى الكهنة والكهنوت وجعل الصلة مباشرة بين العباد وربهم.. بقرآن
ربهم يناجون ، وبصلوات يؤدونها بالملا الأعلى يتصلون ويتواصلون.

وقد حرص الإسلام على أن يغلق أبواباً أفسدت على السابقين عقائدهم مثل الاختلاف على أنبيائهم وكثرة سؤالهم وتساؤلهم، وشدة جدالهم بالباطل وتجادلهم فأرسي ثوابت الدين ودعائم اليقين في أمور يفسدها الرأى والخلاف، ويجافيتها على مر العصور كل عدل وإنصاف.

من هذه الثوابت أن جعل أساس الإيمان بالله اقتناعاً بالعقل لا اتباعاً للأهواء ولا اقتداءً بالآباء. { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا }^(١) وأساس التصديق برسوله كتاباً متجدد الإعجاز على مر العصور وكر الدهور وتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثله { قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }^(٢)

{ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }^(٣)

وهناك عادات اتبعتها أصحاب الملل والنحل السابقة على الإسلام في حياتهم الاجتماعية لم يخضعوا فيها لتشريع سماوي فأضلتهم في مهاويها الأهواء، واضطربت فيها حيفاً وجوراً كل الآراء..

فأبى الإسلام إلا أن يأتي فيها بحكم يحقق الإنصاف ويحسم الخلاف.

يحفظ للإنسان كرامته، ويصون له عزته، ويحيطه بسياج منيع يبقي عليه بنيانه، ويرعى فيه روحه وكيانه رجلاً كان أو امرأة.

فجاءت تشريعاته وصايا من رب العالمين إلى العباد يصلح حاضرهم وحواضرهم وحالهم وآجلهم، وأمسهم ومستقبلهم، من منطلق علم الله الأزلي الأبدي بطبيعة الإنسان في كل زمان وفي كل مكان.

1- (الأنبياء، ٢٢)

2- (الإسراء، ٨٨)

3- (البقرة، ٢٣)

والحق نقول : إن الإسلام ليس فقط صالحاً بل مُصلحاً لكل زمان ومكان لأنه من الله خالق الزمان والمكان مكوّن الأكوان، وخالق الإنسان، وعلمه به علم تفصيلي لا يغيب عنه منه مثقال ذرة، ولا تبهم عليه من أفكاره فكرة. { **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** }^(١)

وإذا كان من يريد إصلاح جهاز في عصرنا يذهب به إلى مصنعه أو إلى خبير بصنعه فما بالناس بالإنسان صنعة الواحد الديان، يذهب من يبغى إصلاحه بعيداً عن خالقه إذن فقد ضل الطريق، وفقد الرفيق. أنزل الله للإنسان منهاج صلاحه وإصلاحه..

ووجهه في مواقفه كلها في أحزانه وأفراحه.. فسن له سنناً للعناية به وبدويه وبأهله وبنيه فأوصى الآباء بالأبناء وأوصى الأبناء بالآباء.

{ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ** }^(٢)

{ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** }^(٣)

وقد ظهر في كل عصر من يحاول النيل من تشريعات الإسلام يريد تارة أن يحد من تمسك أتباعه بجوهره فيمنعهم من أن يعملوا بتعاليمه أو يحتكموا إليه فيما اختلط عليهم.

وهم لا يقنعون في سعيهم بما دون الكفر بالعتيدة بها وتلك غايتهم وإن لم يدركوا منها مأرباً لم يلقوا سلاحهم، ولم يكفوا كفاحهم وطماحهم، وإن رضوا بما دونها هدفاً فالهدف الداني في نظرهم موقوف.

وقد جندوا لذلك جنودهم ممن يسمون الملاحدة حيناً والوجوديين حيناً والعلمانيين حيناً آخر.

1 - (الملك، ١٤)
2 - (النساء، ١١)
3 - (الإسراء، ٢٣)

ولم يكتفوا بأولئك جنوداً موالين بل اختاروا من بنى الإسلام - رجاله ونسائه - من خارت عقيدته، وضعفت فى التمسك بالإسلام عزيمته، ووهنت فى الدفاع عن الحق شوكته، حتى يغطي الإلحاد بغشاء من الإيمان لا يخفى على كل ذي بصيرة تهتك الحجب وتكشف الزيف والمرء مخبوء تحت لسانه لا طي لسانه.

فتطلق دعاوى التشكيك المأجورة على هيئة كلاب مسعورة تحاول أن تفت للدين عضداً وتهدم له ركناً وتدك له حصناً..

فتأتى إلى ثوابته تحاول تحت ستار من حرية الرأى والفكر لبعضها هدماً. ويبوءون فى كل مرة بالخسران المبين.

إن للدين ثوابت فى العقيدة

وثوابت فى العبادة.

وثوابت فى المعاملات

وثوابت فى الأخلاق

وثوابت فى الزواج والطلاق

وثوابت فى الميراث

حتى يكون هناك حد لحرية الفكر الجامح وتكون هناك نهاية لانطلاق الآراء بدون كابح حتى لاتعود الكرة على أمة الإسلام فتهلك كما أهلك الذين من قبلهم.

إن الثوابت هذه لو تركت للأهواء تنازعها لمزقتها، وللأفكار المدخولة تعرضها على العقول المأفونة لهدمتها..

ولصار المجتمع فوضى لا ضابط لحريته، ولا سياج لتصرفاته. ولا أمان لأفراده ولا لمجتمعاته.

إن الإيمان بالثوابت فرض واجب، والعمل بماء جاء فيها من توجيهات ركن من أركان هذا الدين نعص عليه بالنواجذ حرصاً على أنفسنا من أن يندس بين صفوفنا المؤمنة الطاهرة أصحاب الأهواء الفاسدة من شرادم الأفاكين، وجموع الأفاقين، من الخوارج والمتزمتين، والمنحرفين والضالين، والمخربين والمتطرفين..

ومن هنا شرع الإسلام حدود الحرابة لمن خرج على حدود العمل وفق ما أراد الإسلام، وشرع حد الردة لمن خرج على حدود الفكر. في العقيدة أو أنكر ما علم من الدين بالضرورة كما في توجيهات سيد الأنام.

فالإنسان قبل أن يدخل الإسلام حر في أن يختار أى عقيدة فإذا أختار الإسلام فينبغى أن يحذر الخروج منه بعد الدخول فيه والمروق منه قبل الانضمام إليه..

لأنه سيدفع حياته ثمناً لردته لو ارتد

وليس هذا إغلاقاً للحرية ولكن تسديد لفكرتها وضمان لصحتها وإحكام لبابها عندما يفتح أو يغلق فالإنسان قبل أن يدخل الإسلام عليه أن يفكر ويقدر لرجله قبل الخطو موضوعها.

لأنه بعد أن يختار فلا مناص من البقاء على ما اختار بل أكثر من ذلك.

قبل أن يدخل في الإسلام يحفظ له الإسلام كيانه ووجوده ويحمى عقيدته وفكره فإذا دخل في الإسلام حوسب على اللفظة في الدنيا وجوزى عليها في الآخرة.

{ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }^(١)

وما ذاك بقسوة من الإسلام على أتباعه أو على الناس في اتباعه وإنما سمو بهم عن أن يهبطوا إلى دركات تحقر من شأنهم وتهبط بمكانتهم، فالقرآن

^١ - (ق، ١٨)

يهدف إلى التقوى تحقيقاً ووجوداً، لتسعد بها البشرية جمعاء، ويصبح كل مسلم في معية ربه وينعم برضاه في قربه

{ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** }^(١)

ولكي يصون المولى مجتمع التقوى من الزيغ ويحفظه من الانحراف نهى المسلمين عن الخوض في التشريعات تعليلاً وتفصيلاً ومناقشة ثوابته تحليلاً وتديلاً..

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنَ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ** }^(٢)

{ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** }^(٣)

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** }^(٤)

ونعى على أقوام ظنوا أن الخروج إلى القتال يعجل لهم الموت.

{ **قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يَخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَتَلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بَيْوتِكُمْ لَبُرَزَ الَّذِينَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** }^(٥)

1- (النحل، ١٢٨)

2- (المائدة، ١٠١)

3- (آل عمران، ١٣٢)

4- (آل عمران، ١٥٦)

5- (آل عمران، ١٥٤)

باطل يدحضه الحق

القسم الأول

١- تعدد الزوجات

٢- الحكمة في تعدد الزوجات

٣- تعدد زوجات الرسول (ﷺ)

٤- تعدد زوجات الرسول (ﷺ)

من وجهة نظر الباحثين.

١) تعدد الزوجات

لقد درج بعض أدعياء العلم والثقافة في الآونة الأخيرة على الخوض في هذه الثوابت تحت عنوان حرية الرأي. أو الرأي والرأي الآخر. جهلاً بأن حرية الرأي إنما تكون في مناقشة فكر بفكر، أو مطارحة رأي برأي، شريطة أن يكون الرأيان في كفتي ميزان متعادلين أو متقاربين أو متماثلين المنبع والمصدر وليس بين رأي البشر - وإن اجتمعوا - ونص القرآن مجالاً للتبادل أو التقارب، ولا يمكن أن نقارن بين نص قرآني ورأي على أنهما رأي ورأي آخر.

{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا }^(١) { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا }^(٢)

فاستقم كما أمرت.

فالقُرآن مقيس عليه ولا يقاس.

يعقب به ولا يعقب عليه.

به يحكم ولا يحكم عليه.

خاب وخسر وضل وأضل من زعم لنفسه حقاً في مناقشة شرع شرعه الله وأنزله في كتابه.. إنه يتحول من عبد مؤمن إلى عبد إبليس النزعة إذا سمح لنفسه بمعارضة نص من كلام رب العالمين بحجة العقل أو المصلحة العامة أو لأي سبب كان.

{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ

طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لِنُؤْنِ أَعْرَتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ

ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا }^(٣)

1 - (النساء، ٨٧)

2 - (النساء، ١٢٢)

3 - (الإسراء، ٦١: ٦٣)

{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }^(١)

إن الذين يركبون موج الأوهام بسفن الأحلام يخدعهم الشفق فيظنونونه فجراً، أو السراب فليمحونه نهراً قد ضلوا وضلت أفهامهم وخابوا وخابت أحلامهم ، لأنهم خرجوا من الملة بإنكارهم أحكاماً علمت من الدين بالضرورة، وحادوا عن الصواب بعد إن رأوا لأنفسهم رأياً مع قول من كان ولا يزال عليماً قديراً، وللنفوس سمياً وبها بصيراً، وبمكونات كل قلب خبيراً.

من يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور. نعم إن القرآن ميسر للذكر والفكر معاً لا للفكر وحده فالفكر لازم للذكر لزوم الماء للكائن الحي والذكر لازم للفكر لزوم الروح للجسد.. فالذكر بدون فكر جفاء، والفكر بدون ذكر عناء والذكر مع الفكر وفاء..

مطلوب أن نذكر ربنا بفكر متدبر ونحن نتلو أعز كتبه وآخرها، آخر عهد الوحي بعالم البشر. ومجالات الفكر في ملكوت السموات والأرض وليست في ثوابت شرعه، وقواعد أحكامه

{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ }^(١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }^(٢)

^١ - (الأنعام، ١١٢)
^٢ - (آل عمران، ١٩٠: ١٩١)

وليس لنا في مجالات أحكامه وشرعه إلا التسليم فلا عدل مع عدل الله، ولا حكم مع حكمه، ومن يحاول اقتحام حماه فقد تجرأ على مولاه، وجعل دينه لعباً ولهاً يقول فيه برأيه ويحكم فيه بهواه..

{ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ }^(١)

(فمن التمس الهدى برأيه ضل ، ومن طلب الأنس بغير مولاه مل ، ومن رجا الغنى من غير ربه قل.. ومن توكل على ربه وصدق في إيمانه فلا ضل ولا مل ولا قل.)

وقد تذرَّع بعض هؤلاء الذين اتبعوا الهوى وضلوا على علم وأرادوا أن يضلوا غيرهم بوهم الحرية في الفكر وبضلال الاقتناع بالرأي في فهم القرآن ونسوا أو تناسوا أن من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ.

فللتفسير عدته، وللعلم بأهداف الآيات ومراميها وسيلته، ولاستتباط الأحكام من الآيات طريقته.. وقد أذيع أخيراً على منبر من منابر الإعلام في قطر تحت عنوان ((الاتجاه المعاكس)) جدل حول بعض مسلمات الدين وثوابت الإيمان منها تعدد الزوجات ونصيب المرأة في الميراث.. ولو فتحنا هذا الباب (باب الجدل في الثوابت) فمعنى ذلك أننا سنسمح لأنفسنا بمناقشة المحرمات من النساء، ولماذا حرِّمت مادامت هناك حرية في الرأي وحرية في التدخل لتعديل التشريع الإلهي الذي سنه المولى عز وجل إصلاحاً للأفراد وصيانة للمجتمعات.

¹ - (الأنعام، ٧٠)

ثم ماذا يراد حيال تعدد الزوجات؟

لقد جاء الإسلام والناس يتزوجون، ويستحلون من الخليلات عشرات من النساء. علاوة على من تزوجوا من الخليلات..

وقيد الإسلام الزواج بأربع زوجات كحد أقصى واحاطه بسياج من

العدل

{ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ }^(١) ثم حذر من الميل

كل الميل لأن العدل المطلق يعجز عنه البشر بطبيعتهم..

فالقلب يميل وميله غالب على الإنسان لدرجة أن النبي صلى الله عليه

وسلم وهو الإنسان الكامل كان يقول وهو يقسم بين نسائه:

نص الترمذي:

عن عائشة، أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول ((اللهم

هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)).

لقد قرر المولى عز وجل صيانة للعرض وحفاظاً على الكرامة أن

يكون تعدد الزوجات غير مغل بالعدل، وغير معجز عن الإنفاق، فقال عز

من قائل { فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا }^(٢)

وقال:

{ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ

فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا }^٣

حينما يقول الله تعالى كلاماً فليس لنا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا..

1 - (النساء، ٣)

2 - (النساء، ٣)

3 - (النساء، ١٢٩)

نعم يجوز لنا - أن نبحث في الثمرة الطيبة التي يؤتيها التمسك بما أمر الله واجتتاب ما نهى وذلك مما يطلق عليه أحياناً حكمة التشريع، وذلك حسب فهمنا على قدرنا لا على قدر القرآن { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا }^(١).

{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }^(٢)

أولاً : يجب أن نفهم ويفهم الجاحدون أن الإسلام لم يفرض تعدد الزوجات لا فرض كفاية ولا فرض عين حتى يتضرر منه أصحاب الأهواء.

ثانياً : الإسلام جاء وقيّد نظام تعدد الزوجات ووضعها في ضمانات خاصة. ولا بأس بالاغتراف من العطاء المتجدد لآيات الله بحثاً عن الحكمة فهما عن الله لا مصادرة لكلام الله ولا رداً لحكم حكم به ولا لقضاء قضاء

{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرِ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا }^(٣)

ولنسأل أنفسنا ماذا يراد بمسألة تعدد الزوجات؟

هل يريد المهاجمون أن نلغي مسألة التعدد نهائياً. أليس لتعدد الزوجات حكمة حالة أو مؤجلة؟ ماذا نفعل في عصر أو بلد يبلغ فيه عدد النساء ضعف عدد الرجال؟ ووجدت الرغبة لدى الرجل أن يعدد الزوجات، أنقول له : اصبر أيها الرجل يا من ترغب في التعدد، اصبري أيها المرأة لا تتطلمي لأن تكوني زوجة أو أما.. أو كوني خليلة إن لم تكوني خليلة.

هل يقبل هذا الكلام عاقل؟

1- (الكهف، ١٠٩)

2- (لقمان، ٢٧)

3- (النساء، ٦٥)

أليس تحقيق العفة هدفاً ينبغي أن نسعى لتحقيقه.

أليست العصمة من الفتن داعية لأن نقول (تعدد الزوجات جائز).
أليست نظافة المجتمع من الرذيلة غاية نبيلة ينبغي الحرص عليها واتخاذ
كافة الوسائل لتحقيقها والمحافظة عليها؟

ألا يمكن أن يوجد في عصر من العصور بلد من البلدان أو وطن من
الأوطان عدد سكانه قليل والمال وفير وهو مطمع للناهبين من المستعمرين
والمستغلين ويكون في تعدد الزوجات رأباً لصدع وسداً لشجرة وشفاء لداء.

ألا يمكن أن يكون هناك ظرف خاص لرجل مرضت زوجته أو اعتلت
صحتها ولم تعد تصلح للحياة الزوجية ولا يريد زوجها أن يطلقها إكراماً لها
وابقاءً عليها حتى لا تتلقفها هوة الضياع..

أم أن المعترضين ينشدون أن يروا جيشاً من الهائمات في الطرقات لا
رجل يحمي ولا وازع يردع ولا عصمة تمنع.

ألا يمكن أن يكون هناك ظرف خاص لرجل يحتاج إلى إنجاب
الأطفال وزوجته عقيم. وهو أيضاً لا يريد أن يتخلى عنها. وهو في نفس الوقت
لا يستطيع قتل رغبته في أن يكون أباً..

٢) الحكمة في تعدد الزوجات

لقد جاء الإسلام بإبطال ما كانت عليه العرب في الجاهلية، من ظلم اليتامى واستضعاف النساء، وأكل أموالهم بغير حق، والزواج باليتيمات عن غير رغبة فيهن، بل بدافع الطمع فيما يملكن.. أبطل الإسلام ذلك كله، وارتفع باليتامى والنساء عن أن يكونوا في المجتمع محلاً للاستضعاف بحال من الأحوال، أو في صورة من الصور، وجعل لهم حقوقاً متساوية مع حقوق غيرهم من سائر الناس، وتراودنا نصوص الإسلام الكثيرة في هذا المقام،

قال تعالى:

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ }^(١)

وقال تعالى:

{ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا }^(٢)
إلى غير ذلك من الآيات.

ونتيجة لهذه التعليمات برزت في المجتمع المسلم مشكلة في حاجة إلى حل، تولدت من الحساسية التي تكونت عند المسلمين، ودفعتهم إلى الابتعاد عن اليتامى والمستضعفين، توخياً للسلامة، وحرصاً على البعد ما أمكن، عن الوقوع في المحذور، أو المساس بأموال اليتامى. ولكن كيف أن يقوم المسلمون لليتامى بالقسط، ولا يقعون في نفس الوقت في حرج، بسبب دخولهم علي

1 - (البقرة، ٢٢٠)
2 - (النساء، ١٢٧)

اليتامى، عندما يكونون عليهم أوصياء، وقد يكون في اليتامى من تصلح للزواج، فضلا عن الأمهات اللاتي تركهن الأزواج، ولعل فيهن بقية من شباب.

لقد وضع الإسلام حلاً لهذه المشكلة، من جميع جوانبها، فضمن بهذا الحل، القيام لليتامى بالقسط، واستجاب للدواعى النفسية، التي بعلم الله عز وجل حقيقتها، وضمن السلامة للأوصياء ليكونوا في مأمن من الافتتان؛ وذلك بإباحته تعدد الزوجات، في مثل تلك الظروف التي يجد فيها الرجال الأوصياء أنفسهم أمام أمر لا مخرج لهم منه إلا بتعدد الزوجات، حيث لا حرج عليهم فيه إذا أمنوا من أنفسهم الجور.

كما قيدت بذلك الآية القرآنية، التي أباحت تعدد الزوجات، قال تعالى:

{ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنَّىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا }⁽¹⁾

فليدخل الأوصياء من هذا الباب إذن، ومن كان منهم متزوجاً بواحدة، فلا بأس عليه أن يضم إليها أخرى، ممن طاب له من النساء، ليصبح في وضع لا يفتن فيه ولا يفتن، وليصبح دخوله بيت اليتامى مأمون العاقبة، محمود السيرة، مشمولاً في عمله برعاية الله، شاملاً اليتامى ببره وعطفه، موثقاً ما بينه وبينهم بعري النسب الوثيق، حيث قد بات لهم الصهر الحميد، والراعى الأمين، ووقى في ذات الوقت نفسه، وصان كرامته، وحمى عرضه، وذب عن سمعته وسلم من قالة السوء.

وظروف المجتمعات، وما تطرأ عليها من مشكلات، وخاصة إبان مراحل النمو والتكوين، ومجابهة الأعداء الطامعين، تفرض الكثير من الحلول التي تلبي حاجات هذه المجتمعات، وتخفف عن الكثير من الأسر أعباء

¹ - (النساء، ٣)

الحياة وقسوة الظروف، عندما يضحى الرجال بأنفسهم، شهداء فى سبيل الله، دفاعاً عن الحق، وحماية للمبدأ، وذوداً عن العرض والأرض والمال.

والمجتمع المسلم، الذى وضع أسسه القرآن، ورعاه رسول الله ﷺ، وتحمل العبء الأكبر فى بنائه وإعلاء صرحه، وتحمل التبعات التى نجمت عن ظروفه، قد حفل بالكثير من الأوضاع، وشمل الكثير من البيوت، التى فقدت عائلها فى ساحة المعارك، التى خاضها المجتمع الإسلامى، دفاعاً عن وجوده. ومعرفة للظروف التى تقتضى تعدد الزوجات ولم يكن الإسلام فى هذا بدعا من الأديان. ولم يكن الرسول (ﷺ) فى حياته بدعا من الرسل.

ومن المهم أن نعرف أن الإسلام لم يكن هو الذى اخترع تعدد الزوجات، وإنما هدبه وشدبه، وأبقى منه ما تحتاج إليه المصلحة بقدر الضرورة التى تبقيه ولا تلغيه، تقديراً للعوامل والمفاسد التى تنشأ من الإلغاء، والتى تجلب الظلم، وتنتشر الفسق، وتخلق فى الرجال والنساء على السواء دوافع الإثم والخروج عن العرف علناً، أو فى الخفاء، وخير للإنسان أن يواجه الواقع، وألا يهرب منه إلى غيره، فىكون مظهرًا شيئاً، ومضمراً أشياء، فضلاً عن أن ذلك إذا حدث يقضى على أهم مقومات المجتمع الذى يقوم على التصون والعفاف، ويؤثر الطهر والنظافة، ويعاف القذارة ويأبى الرذيلة والفجور.

ولا يرضى الإسلام بتلك الفوضى، وهو الذى جاء ليصلح أمور الناس، وينظم شئون العالم، فى كل ناحية، ومنها تعدد الزوجات. لقد وضع له القواعد، التى تكفل خيره، وتمنع ضرره وشره، فلم يحرمه، ولم يبقه مطلقاً من كل قيد أو شرط، كما كان عليه من قبل، بل قيده، وجعله وافياً بحقوق المصلحة العامة. وفى هذا جاء قوله تعالى: { فَاَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى

وثلثاً ورباعٍ فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا }⁽¹⁾

¹ - (النساء، ٣)

ومعنى: ((ما طاب لكم من النساء)) ما اجتمع له من أسباب الحل مما يجعله موافقاً لمقاصد الشريعة.

فإذا كانت المرأة عاقراً لا تلد، والرجل يبتغى الذرية، فله الحق، وإلا فالشرع الذي يحرم عليه حينئذ الزواج بأخرى، غير عادل، يعالج ظلم المرأة بظلم يوقعه على الرجل، وهو فساد تنتزه عنه شرائع السماء التي تتحرى العدل وتحرص عليه.

كما أن الإسلام يريد مجتمعاً نقياً طاهراً، خالياً من البغايا والساقطات، ولا يرضى لمروءات رجاله أن تبتذل بالاستخفاء والتسلل من حين لآخر إلى بؤر الفسق، وأعشاش الفساد. وزوج المريضة، إن لم يتزوج بأخرى، تحصنه، لا بد أن يندفع إلى هذا الطريق. فأى الطريقين أعف للمرأة، وأكرم للرجل، وأنزه للمجتمع؟ تعدد الزوجات أم البغايا والساقطات.

ومن النساء، ذات الطبع السلبي، التي لاتألف الرجال، ولا تتشط لتلبية رغبات الزوج، فماذا يصنع زوجها؟ والطبيعة لا ترحم، ولبدنه عليه حق، أفيكون من الظلم لها، وهى لاتريد الرجل، أن يتزوج بأخرى؟ إن ذلك هو الإنصاف بعينه له ولها، مادام في الدنيا من يعرف الإنصاف ويقدر الأمور بمقدار من السداد.

ومن ضرورات الأمم، ما يعرض لها إبان الحروب، من نقص عدد الرجال، وحاجتها إلى تعويض ذلك، لتجبر نقص الأيدي العاملة، في ميدان الاقتصاد والحرب معاً، وقد كان تعدد الزوجات الوسيلة التي قامت بعملية التعويض، فيما نجم عما خاضه المسلمون في الصدر الأول من حروب طاحنة متواصلة، في الداخل والخارج، ولولا ذلك لأهلكتهم تلك الحروب.

ويهمنا أن نوضح نقطة هامة، وهي أن العيب ليس في تشريع أباح تعدد الزوجات، وإنما في طريقة تطبيقه، أو في سوء استعماله خارج نطاق

الضرورات، بل العيب في أولئك الذواقين، الذين يظنون الحياة مأكلاً وشهوةً، فراحوا يطلقون ويتزوجون، ذهاباً مع داعي اللذة، غير مباليين بما يحدثون في المجتمع من فساد، ولا بما ينزلون بالزوجات والأبناء من شر الجنائيات. ويعملهم هذا أتاحوا فرصة للتشنيع على مبدأ تعدد الزوجات، من خصوم الإسلام، الذين لم يفتنوا إلى سر المشكلة وجوهر الموضوع، أو فطنوا، ولكنهم حاولوا أن يضلوا غيرهم من الناس، والإسلام براء من كل ما رماه به أعداؤه، والحاقدون عليه. ورسوله ﷺ، مصباح يضيء وبشير وندير، واسى الناس فيما أصابهم، وخلف الشهداء في أسرهم، وبشرهم بما يلقون من جزاء عند ربهم، وأنذر بسوء العاقبة أعداءهم، الذين سببوا للمجتمع الإسلامي الناشيء مشكلات، ووضعوا في سبيله عقبات، لم يتغلب عليها إلا بجهد صاحب الرسالة العظيمة وبما ألف الله به من قلوب المؤمنين والمؤمنات.

٢) تعدد زوجات الرسول ٣

وما ينطق عن الهوى

إن البيان الساحر واللفظ الأسر الذي يتسلل إلى القلوب فيغمرها بالسكينة وإلى النفوس فيملؤها ضياء وإلى الوديان فتتصت إصغاء وإلى الكائنات فتحفها بهاء، لا بد له من نبع روعي متصل بالملأ الأعلى والقدس الأجلى، وهكذا كان البيان المحمدي ينساب أرق من النسيم ويغمر الأفئدة فيمتعها ويغزو العقول فيقنعها.

تلك معجزة من معجزات النبي الهادي الداعي إلى الهدى
لينقذ العالم من الردى.
ويفيض عليه بالجوود والندى.

{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ }^(١).

في عامة حياته وخاصتها، في سلوكه قدوة وفي أخلاقه أسوة شهد بأمانته أعداؤه وأقر بصدقه شائئوه وأعجب بعدله مبغضوه يبيت على الطوى ولو سأل الله لأعطاه ولو طلب لأرضاه وقد خيره ربه ومولاه بين أن يجمع بين ملك ونبوة أو بين نبوة وعبودية فاختر الثانية على الأولى ذلكم هو الذي لاتجد البعث الحي المتوثب للنفس والحس للروح والقلب، للعواطف البشرية للمشاعر الإنسانية لاتجد هذا وغيره ولن تجد ذلك وسواه إلا حينما تستمع بأذن القلب إليه إنه حقاً رسول الله .. أذلك النور الألهي أذلك القبس الروحاني أذلك الضياء الرباني نعمة الله المسداة ورحمته المهداة تصبح في يوم من الأيام كتلة من الشهوات ومزيجاً من الرغبات وشعلة من النزعات.

أذلك الذي نزه الله عن الهوى نطقه يدنس هو بالهوى فعله !؟

¹ - (النجم ، ٣ - ٤)

أيحفظ الله بصره في الملاء الأعلى { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى }⁽¹⁾ ويطلقه هو ليرى هذه أو تلك فتروقه ويطلق لنفسه في ذلك المجال عنانها حتى ولو كان زواجا مشروعا وما كانت نفسه حينذاك في شبابها؟! لو فقه الفاقهون وأدراك الجاحدون المعاندون. أذلك الذي أمضى شبابه بين عزوبة عفيفة وزيجة شريفة مع من تكبره في السن؟

حتى إذا جاوز الخمسين بعد وفاة أم المؤمنين أولى أمهات المؤمنين. يتزوج عدداً من النساء؟ ألا يفقه السفهاء أن ذلك ما كان بمعزل عن أمر السماء؟! ولو تأملنا آية في كتاب الله لفهم لهذا الزواج مغزاه ومرعاه حين عاتبه ربه في كتمان أمره بالتزوج من ابنة عمته بعد تطليقها من ابنه بالتبني زيد بن حارثة

{ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا }^(٢)

فالله هو الذي يزوجه ويفرض عليه ذلك كما فرض على الأنبياء قبله الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه وما كان عليه من حرج فيما فرض الله له. فالذي يود أن يسأل النبي (٣) لماذا تزوج؟

كان من الأخرى به أن يسأل لماذا زُوج ؟

وهل يسأل في ذلك النبي (٣) .؟

1 - (النجم، ١٧)
2 - (الأحزاب، ٣٧-٣٩)

أم يسأل من زوجه وهو الله عز وجل؟ ولا يسأل الله عما يفعل.

وتعال لنتأمل آية أخرى من كتابه عز وجل { **عَسَىٰ رَبُّهُ إِنِ طَلَّقَنَّ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ** }^(١). ومن الثابت أن الذي يقوم بالتبديل عند التطليق هو الذي قام بالتزويج في أول الأمر. ولماذا يخص الجاحدون النبي محمداً باللوم؟ أما دروا أن الأنبياء قبله تزوج جُلهم أكثر من زوجة فمنهم من بلغ عدد أزواجه عشراً أو أكثر .

ولكن لأنه سيد البشرها جموه، وعلى غير فعله حاسبوه وفي الحلال الذي شرعه الله له خاصموه.

ولو تأملنا تقييد الزواج بالنسبة له ولغيره لعرفنا أن غيره أطلق له ما قيد عليه فإن كان الواحد من عامة المسلمين يجوز له أن يجمع بين أربع، ويجوز له أن يستبدل إن دعت إلى ذلك ضرورة من موت أو تطليق.

أما هو ٣ .

فبقى له أزواجه بعددهن دون أن يؤمر بتطليق من زاد على الأربع لأنهن أمهات المؤمنين فإذا خرج بعضهن بالتطليق تلقفهن عالم من الضياع حيث يحرم عليهن الزواج وهن أمهات المؤمنين. فأبي بيت يؤيهن مثل بيت رسول الله. فلنتأمل هذه الآية الخاصة به عليه الصلاة والسلام:

{ **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنَهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا** }^(٢)

1 - (التحريم، ٥)

2 - (الأحزاب، ٥٢)

٤- تعدد زوجات الرسول (ﺭ) من وجهة نظر الباحثين

إننا إذا أمعنا النظر بعين الاعتبار إلى ظروف إباحة تعدد الزوجات بالنسبة للرسول (ﺭ) سوف نجد أسباباً ترد كل فرية وتدفع كل شبهة وتبرز الإسلام في صورته السامية، وترينا النبي (ﺭ) في مكانته الرفيعة العالية.

ذلك النبي الخاتم الذي يجد ألم الشوكة يشاكرها المؤمن ويحب أصحابه الأذنين ويود لقاء أحبائه الذين سيأتون من بعده يؤمنون به ولم يروه.

نبي يحرص على مؤمن أشد من حرص المؤمن على نفسه ويخشى على كل مؤمن أن يمسه أذى في دنياه أو في آخرته حتى شهد له ربه

{ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ }^(١)

{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }^(٢)

وفي الصفحات الآتية التي نعرضها بنصها حيناً وبشيء من التصرف حيناً آخر سوف نطالع آراء الباحثين الذين تلمسوا أسباباً لكل زيجة من زيجات النبي (ﺭ)

وإن كنا نميل في الحقيقة إلى أن الله زوج نبيه وأباح له تعدد الزوجات كما أباح لكافة الأنبياء قبله كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ولكن لا بأس، باستعرض تلك الآراء التي اجتهد فيها كاتبوها أثابهم الله عن جهدهم وحبهم لنبي الله ثواب المؤمنين المجاهدين الذين ينشدون الحق ويسلكون له أبوابه، ويطرقون له أسبابه.

¹ - (الأحزاب، ٦٠)

² -

ففتح لهم من أبواب توفيقه مما أقنع وأمتع، فمن سلم بالأولى فيها
ونعمت ومن سلم بالثانية فخييراً فعل، ومن لم يسلم بأي منهما فليمدد
بسبب إلى السماء ثم ليقطع فليُنظر هل يذهبن كيده ما يغيظ.

زوجته الأولى خديجة :

هذا النبي (ﷺ) الذي يفترى عليه الكاذبون، ويخترق عليه الأفاكون، ويحاول المساس بشخصه الكريم الضالون المضلون.

كانت زوجته الأولى تقارب الخمسين وكان هو في عنفوان شبابه وحرارة قوته لا يجاوز الخامسة والعشرين، وهي التي رغبت فيه قبل أن يعلن عن رغبتة فيها وأعرضت عن غيره من سادات قريش ووجهائها، فلأنه الصادق الأمين تزوجته، ولأنه ذو الخلق العظيم اختارته، ولأنه صاحب السلوك المستقيم آثرته، وعاش معها إلى أن وافتها المنية لم يفكر في سواها، ولم يميل إلى غيرها وكان من حقه ومن حق نفسه عليه أن يخطب فتاة ذات منصب وجمال، وذات حسب ونسب.

وما عرف عنه أنه خطب زوجة على أساس جمالها ونضارة شبابها وإنما كانت خطبته لصلة رحم أو لصون كرامةٍ أو لحفظ من مهانةٍ، فمعظم أمهات المؤمنين.

تزوج منهن وهن أرامل أيمّات فقدن الزوج والناصر بل العون والسند وما تزوج بكراً إلا عائشة.

السيدة سودة بنت زمعة :

مات ابن عمها (زوجها) بعد عودتها من الهجرة إلى الحبشة فأبى أن يكون مأواها ومآلها إلى أهل يكرهونها على الكفر بعد الإيمان، أو إلى الطريق يحتويها دون ناصر في وقت تحتاج فيه إلى النصرة، هل ترضى بغير كفاء يريدونها لنزوة عارضة ثم يبعث بها، أو تعرض هي نفسها على كفاء لا يريدونها فتتهوى إلى مهانة ذل لا يقبل وقد أعزها الإسلام.

أم تقف على الطرقات تتسول الناس اللقمة والكساء.

وقد يقال مثل ذلك في كثيرٍ من أمهات المؤمنين ممن لهنَّ نفس الظروف والملابسات.

السيدة هند بنت أمية (أم سلمة):

كانت متزوجة من ابن عمها (عبد الله المخزومي) أصابه جرح في غزوة أحد فقضى نحبه متأثراً به، وكانت هي كهلة مسنة وقد خطبها كل من أبي بكر وعمر ورفضت خطبتهما اعتذاراً بسنها وشيخوختها كما اعتذرت إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل ذلك لتعفيه من خطبتها.

ولكنه أعاد عليها الخطبة وطيب خاطرهما حتى قبلت تنفيذاً لأمر ربه وطاعة لخالقه ومولاه.

جويرية بنت الحارث سيد قومه:

كانت إحدى السبايا في غزوة بني المصطلق وأراد النبي (ﷺ) وهو المشرع الحكيم والناصح بالقدوة، أن يعظ الناس بسلوكه فعلاً، قبل أن يعظهم بنطقه قولاً.

أراد أن يحض المسلمين على عتق أسراهم، وتحرير سباياهم تفرجاً عن الأسرى، وتطييباً لخواطرهم، وحفظاً للكرامة الأدمية فيهم، يغزو قلوبهم ويأسر مشاعرهم. فأعتق النبي (ﷺ) جويرية وتزوجها أو تزوجها ليعتقها، ووجد المسلمون في رسولهم أسوة حسنة فمن يقبل منهم أن يبقى امرأة في رقها وقد أعتق رسول الله نظيرها فاتبعوه فيما شرع واقتدوا به فيما بادر إليه فأعتقوا أسراهم وتزوجوا إماءهم فأسلموا جميعاً وحسن إسلامهم ولقد خيرها أبوها بين العودة إلى حماه وبين البقاء في حمى الزوج محمد (ﷺ) فأثرت الآخرة على الأولى.

حفصة بنت عمر :

لما تأيمت لقي عمر بن الخطاب عثمان فعرض عليه زواج حفصة فقال عثمان: مالي في النساء حاجة. فلقي أبا بكر فعرضها عليه فسكت فغضب على أبي بكر.

فذكر ذلك للنبي (ﷺ) قائلاً: ألا تعجب من عثمان أن عرضت عليه حفصة فأعرض. فقال رسول الله

(ﷺ) قد زوج الله عثمان خيراً من ابنتك وزوج ابنتك خيراً من عثمان بن

عفان

رملة بنت أبي سفيان :

أسلمت وخرجت بذلك من أهلها ووطنها لتهاجر مع زوجها إلى الحبشة، ولكن زوجها أضله شيطانه وأغواه فتصر في الحبشة وفارقها وهي غريبة الدار والأهل لا عائل تأوى إلى ركنه ولا حامي تستظل بكنفه فأرسل النبي (ﷺ) إلى النجاشي ملك الحبشة يطلبها منه لينقذها من ضياع الغربة، ووحشة الأهل، وفقد القرين، فكان الزواج نجدة لإنسانة معذبة، ولإيمان يتعرض للفتنة، وقد وصل النبي بذلك النسب بينه وبين أبي سفيان بأصرة قد تخفف من غلواء عداوته، وتقلل من جبروت عناده وكبريائه.

صفية الإسرائيلية :

بنت سيد بني قريظة حبي بن أخطب خيرها النبي (ﷺ) بين أن يردها إلى أهلها أو يعتقها ويتزوجها.

فاختارت البقاء في حمى رسول لم تجد أطيب منه حمى، وظل نبي لم تتشق في حياتها عبيراً أطيب من عبيره، دماثة خلق غير مألوف، وحلو شمائل لا يوجد لها من نظير في دنيا الناس.

السيدة زينب بنت خزيمة :

مات زوجها عبد الله بن جحش قتيلاً في غزوة أحد ولم يكن لها من
عائل يحمي أو كافل يصون فتكفل بها النبي (ﷺ) ليصون عرضاً وكرامة،
ويحفظ أماناً وإيماناً.

السيدة زينب بنت جحش :

ابنة عمه النبي (ﷺ)

زوجها من مولاه ومتبناه (زيد بن حارثه) فنصرت منه إباء، وأعرضت
عنه أنفة فاستأذن الزوج زيد النبي (ﷺ) في طلاقها فلم يأذن فأخبره الله عز
وجل بأنها ستطلق من زيد وسيتزوج النبي (ﷺ) صلى الله عليه وسلم) منها استجابة
لأمر ربه هدماً لأحكام التبني.

{ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي
فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا
زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ
أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا }^(١)

وانظر إلى قوله تعالى { وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا }. وأذن النبي ﷺ لزيد في
طلاق زينب وانقضت عدتها وتزوج النبي (ﷺ) منها أكان ذلك لجمال رآه
فجاءه فتملك من قلبه؟ كما يقول هؤلاء وأولئك ونسوا أو تناسوا أنه هو الذي
زوجها أولاً من زيد. وأنه نشأ معها بحكم القرابة ولم تكن غريبة عنه بل
كان يراها منذ الطفولة.

¹ - (الأحزاب ، ٣٧)

عائشة

هذا النبي الخاتم الذي يقبه ألدُّ أعدائه (الصادق الأمين) ويفتري عليه أشدَّ الأعداء خصومة فيصفونه بالشهوان الغارق في لذات حسه.

اختارته زوجته خديجة لأمانته لعفته لصدقه ولنور النبوة يجري في عروقه قبل أن يُنبأ، ولسر الأسرار في قلبه قبل أن يباح به، رأت في أعماقه جاذبية غامضة فأرسلت من يعرض عليه الزواج وهي الرافضة لسادات من قريش ووجهاء من أهل مكة وتجارها.

وقد عاش معها وهو ابن الخامسة والعشرين وقد تجاوزت هي الأربعين عاش معها في هناءة الزوجة المحبة، وظل الوفاء النادر. وماتت وقد تجاوزت الستين بسنوات وهو قد جاوز الخمسين بقليل.

لم يفكر يوماً في أن يتزوج عليها. إلى أن صحا النبي (ﷺ) من نومه ذات صباح مسترجعاً في مخيلته ذكرى الرؤيا التي رآها.

رأى فيما يرى النائم جبريل عليه السلام يمسك بسرقة من حرير تحمل صورة عائشة بنت أبي بكر. قائلاً له: إنها زوجته في الدنيا والآخرة وقد تكررت الرؤيا ثلاثاً فكانت أمراً من الله عز وجل وغدا رسول الله (ﷺ)

إلى دار صديقه يقص عليه رؤياه ففرح أبو بكر بخطبة النبي (ﷺ) لابنته عائشة ثم ما لبث أن غشيت وجهه أبي بكر سحابة من الحزن حيث تذكر فجأة أن عائشة مخطوبة إلى ابن صديق عزيز (جبير بن مطعم بن عدى). ثم هداه تفكيره إلى الطريقة التي تخلص بها من وعده الذي قطعه لصديقه (مطعم).

واستمرت عائشة في بيت أبيها إلى أن تمت الهجرة وممرت سنوات كفاح وجلاد. وجاء أبو بكر إلى بيت النبي (ﷺ) قائلاً!

ما الذي يمنعك أن تبني بأهلك يا رسول الله؟

أب يعرض على النبي (ﷺ) أن يأخذ زوجته من بيت أبيها فقد أصبحت أهلاً لأن تكون ربة بيت وهل أحد أخبر بالبنت إذا كانت تصلح للزواج أم لا من أبيها وهل هناك أرحم بها أو أبر بها من ذلك الأب الرفيق أبي بكر الصديق.

أما مارية القبطية:

في العام السادس من هجرة المصطفى (ﷺ) إلى المدينة. أرسل إلى الممالك رسلاً يحملون معهم كتباً إلى ملوك وحكام هذه الدول ومن بين هؤلاء الذين أرسل إليهم (المقوقس) عظيم القبط في مصر فاستقبل المقوقس (حاطب بن أبي بلتعة) رسول (رسول الله ﷺ) أحسن استقبال وأنزله منزلاً كريماً وخشى أن يعلن إسلامه أمام حاشيته. ثم زود حاطباً بهدايا عندما اعتزم الرحيل.

كانت الهدايا جاريتين من جوارى المقوقس من (خدمه في القصر) (مارية)، وأختها (سيرين) وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً وبغلةً وحماراً وخادماً كبير السن.

وفي أثناء الرحيل وجدت السيدة مارية من أخلاق حاطب وحسن معاملته وجميل مواساته ما حببها في الإسلام فأعلنت إسلامها ومالبت أختها أن حذت حذوها. ولقيت مارية من النبي (ﷺ) في بيته كل رعاية وعناية وحسن معاملة وولدت له إبراهيم قرّة عين لم تدم طويلاً أما أختها سيرين فقد تزوجت من الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه.

تعليق (أسباب التعدد)

وبعد أن استعرضنا لأسماء زوجاته (٢) يتبين أنه عليه الصلاة والسلام، ما بنى بواحدة منهن، لما وصفت به عنده من جمال، وإنما كان زواجه صلة للرحم، وضناً بهنَّ على المهانة، وحفاظاً عليهن من الضياع، ومعظمهن أرامل، مؤيمات، فقدن الأزواج، أو الأولياء، وليس من يتقدم لخطبتهن من الأكفاء، غير رسول الله (ﷺ)، ولم يتزوج عليه الصلاة والسلام إلا عذراء واحدة هي عائشة بنت أبي بكر، صديقه وصفيه، والخليفة من بعده، والذي امتدحه القرآن عندما قال:

{ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا }^(١)

أمن أجل الحس ولذاته، يتزوج النبي بمن تزوج، وهو يومئذ سيد الجزيرة العربية، وأقدر الرجال على اصطفاء الحسان..؟ وهل يتزوج بمثل هؤلاء الأرامل، غارق في لذات الحس؟ ولماذا يجهد النبي (ﷺ) نفسه ذلك الإجهاد، في بيته وبين قومه، لو لم يكن ما عند الله أحب إليه من كل متع الحياة؟ إن العمل الذي قام به النبي (ﷺ)، من إتمامه الدين وإصلاحه لأحوال المجتمع، وصدده كل يد امتدت لتوقف رسالته ودعوته، لدليل على أنه كان آية آليات، وحجة في وجه كل مفتر، يسوق الأباطيل، ويلفق التهم، بغير حق، على أشرف خلق الله، مهما تخفى تحت ثوب التبشير، الذي لا يستر صاحبه وهو يضممر فيما يقول العدواة والبغضاء، ويسخر في سبيل أغراضه، قلبه وقلمه وهواه ويلغى عقله وفكره وضميره.

¹ - (التوبة، ٤٠)

وكذلك يظهر وينكشف، لكل منصف، سوء النية والجهل الفاضح، من أولئك المقلدين للمبشرين والمستشرقين، من الأدعياء المتهجمين بغير علم على نبي الإسلام.

لقد أراد النبي (ﷺ) بزواجه من عائشة وحفصة أن يوثق صلته بالرجال الذين آزره في دعوته، وتحملوا معه المشاق في رسالته كأبى بكر، وكعمر بن الخطاب، الذي دخل الإسلام، فمازال المسلمون بعز منذ أسلم عمر.

• وتزوج (ﷺ)، استجابة لأمر الله، ليبطل بفعله تقليداً شائعاً عند العرب، وقد أقدم على هذا، وهو شديد التحرج والحياء، ولكنه أمر الله عز وجل، وينبغي ألا يوقفه شيء، والرسول بإزاء التكليف الأعلى، لا مفر له من السمع والطاعة، سنة من سبقه من رسل الله:

{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يَبْلُغُونَ

رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا} (١)

والله سبحانه بهذا النص الكريم يجرى قلب رسوله على إبطال عادة سيئة، يتمسك الناس بها، ويريد الله منه أن ينبه على حكمها، منفذاً بذلك شرع الله المنزل عليه متحملاً تبعاته:

{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} (٢)

ماذا يقول المنصف إزاء هذه الأمور كلها؟ وكيف يكون تفكيره فيها؟ هل يعقل أن يصدق أحد أن الباعث على هذا الزواج، شهوة جامحة، ورغبة طاغية؟ أم أنها ظروف دعوة، ومصالحة رسالة، وقف صاحبها حياته على إبلاغها، أو يلقي الله دونها، غير مفرط أو مضيع، وفي سبيل ذلك يتحمل التبعات، ويواصل العمل، ويوثق الصلات، ويوطد العلاقات بينه وبين المؤمنين، الذين أعزوه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، وهو كذلك يكرم الشهداء، الذين قدموا أرواحهم في سبيل الله، كما فعل مع أرملة

1 - (الأحزاب ٣٨ - ٣٩)

2 - (الأحزاب ٤٠)

السكران بن عمرو، سودة بنت زمعة، التي هاجرت مع زوجها إلى الحبشة، ثم عادت إلى مكة فتوفي عنها، وأصبحت الأرملة المسلمة المهاجرة ولا عائل لها، فكان النبي (ﷺ) بالزواج منها العائل المكرم، الحافظ لها من الافتتان في دينها، وكانت في مثل عمر خديجة. وقد ورد أنها قالت له:

يا رسول الله، مالى في الرجال من أرب، وقد تنازلت عن ليلتي لعائشة، وأريد أن أحشر يوم القيامة ضمن أزواجك، فقبل منها، ودعا لها)). تقول السيدة عائشة رضى الله عنها: ((كان رسول الله (ﷺ) يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير سودة جعلت يومها لعائشة تبتغى بذلك رضا)).

❖ إن من يفعل ذلك كله، ويتحمل كل تلك التبعات لصاحب رسالة ومنقذ بشرية، وخاتم رسل، وصدق الله إذ يقول: { **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** }^(١)

❖ والغرب اليوم، الذي يحاول أبناؤه من المستشرقين، تشويه تصرف النبي (ﷺ) في هذا الجانب، لا يجرؤ على أن يدعى أن نظام الزوجة الواحدة، يتبع اليوم في دقة، وينفذ نصاً وروحاً، ومع هذا يأتى بعض أبناء الغرب فينكرون في جرأة أن يجمع رسول الله (ﷺ) بين هذا العدد من الزوجات، منذ أربعة عشر قرناً، في وقت كان التعدد فيه هو نظام الإنسانية السائد، التي لا تعرف لها نظاماً سواه إلا في حالات قليلة، ولدواع خاصة، على أن نظام التعدد ليس نظاماً اختيارياً، وإنما تقضى به طبيعة الإنسان على الدوام.

❖ إن بعض العصريين يبدو لهم التعدد اليوم على أنه مظهر من مظاهر استعباد المرأة، وأنه لإرضاء الرجال، والحقيقة التي لا مرية فيها أنه تبعات، وأنه يلقي على الرجال أعباء ثقيلة مرهقة، وينقذ النساء من نظام أبشع، وهو الرق العصري، الذي يعترف بزوجة واحدة، ويترك لغيرها

^١ - (التوبة، ١٢٨)

ممن يعاشرهن الزوج الضياع والهوان. والمرأة هي الخاسرة، وهي التي تدفع الثمن باهظاً، ويدفعه معها مجتمع تعس، وإنسانية شقيت بألوف من لقطاء مضيعين، وصغار منبوذين.

❖ على أن الرجال ليسوا سواء، فقد تفضل المرأة راضية، أن يكون لها حظ النصف من حياة رجل معين على أن يكون لها مع غيره حياة كاملة. ولقد كان رسول الله (ﷺ) من النمط الفريد، الذي تؤثر أي زوجة أن يكون لها مكان في بيته، على أن تكون لها مملكة مستقلة تنفرد بها، دون مشاركة، وليس من بين زوجاته عليه الصلاة والسلام، امرأة دخلت بيته، وفي حسابها أن تنفرد به، فقد كانت مسألة التعدد آنذاك، طبيعية، لم تعدها المجتمعات والتقاليد، ويكفى أن نعلم أن خولة بنت حكيم قد اقترحت على الرسول (ﷺ) أن يتزوج بسودة وعائشة في وقت واحد وكانت ميمونة بنت الحارث هي التي عرضت نفسها على رسول الله (ﷺ) وكان في بيته عشر من النساء، ثماني زوجات ومملوكتان، ويوم أن عرض عمر حفصة على أبي بكر، قبل أن يخطبها رسول الله (ﷺ) كانت عند أبي بكر أم رومان، كما أن أبا بكر وعمر، عرضا على أم سلمة الزواج بها بعد وفاة زوجها قبل أن يخطبها رسول الله (ﷺ)، مع أن كل واحد منهما كانت عنده أكثر من زوجة.

❖ ونستطيع أن نؤكد، بناء على ذلك كله، أن زوجات رسول الله (ﷺ)، لو خيرت واحدة منهن، بين حياتها المشتركة في بيته، وحياتها منفردة في غير ذلك البيت، عند غيره، لما رضيت، مع العلم بأن المشاركة كلفتهم الكثير بسبب الغيرة، ورغبة كل واحدة منهن، في الانفراد بأعظم رجل، وأشرف رسول، وأبر زوج، وقد شهد بيت الرسول (ﷺ) من غيرة نسائه الكثير، وكلفه ذلك عناء، ولكنه عود نفسه على احتمال كل ذلك، تقديراً لدوافع الطبيعة التي كانت تدفع المرأة قسراً، ودون اختيار.

❖ وقد كان (٢) آية الآيات في سلامة الفطرة، وصحة النفس، وعمق الفهم، وقد عرفت نساؤه ذلك فيه، وكن يلذن به كلما أخرجتهن الغيرة عما يجب لزوجات النبي (٢) من التسامح والوئام، وكان يدركن أن رسول الله (٢) خير من يعذر ويقدر ويرحم. وما كان يضيق (٢) صدرًا إلا حين يجاوز الأمر مداه، فيغضب أو يزجر أو يهجر، حتى ترعوي من تجاوزت مداها منهن، ونعود إلى سابق عهدنا، أما للمؤمنين، وزوجة لرسول الله عليه الصلاة والسلام. ولقد جمع (٢) في بيته هذا العدد من الزوجات في وقت لا يتجاوز ثمانى سنوات، مع اكتفائه بزوجة واحدة طوال ثمانية وعشرين عاماً هي بالتأكيد فترة الشباب.

قال بعض المستشرقين:

إن تسع زوجات لدليل على فرط الميول الجنسية.

قال العقاد رداً على ذلك:

((إنك لا تصف السيد المسيح بأنه قاصر الجنسية لأنه لم يتزوج قط)).
فلا يصح مطلقاً أن تصف محمد (٢) بأنه مفرط الجنسية لأنه جمع بين تسع نساء.

ويقول العقاد:

((حب المرأة لا معابة فيه هذا هو سواء الفطرة لا مرء وإنما المعابة إن يطفى هذا الحب حتى يخرج عن سوائه واعتداله ويشغل المرء عن غرضه. ويكلفه شططاً في طلابه فهو عند ذلك مسخ للفطرة المستقيمة)).
ولنتساءل هل كان حب محمد (٢) للمرأة شاغلاً له عن الرسالة وأعبائها؟ أو صار مشغولاً عن الدعوة ومسئولياتها أو هل تخلف عن موقعة حربية خوفاً على نفسه، أو جنباً عن منازل الأعداء أو إيثار السلامة، أو نشداناً للمتعة بالنساء؟.

وهو الذي أمضى حياته منذ الدعوة في جهاد للعدو بالسيف أو الدعوة لأهل الباطل بكلمة أو برسالة أو عكوف على مصالح الأمة يرعى شأنها ويعلي قدرها ويرسي في النفوس قيمها وأخلاقها.
ثم نتساءل:

ماذا كلفه الاحتفاظ بنسائه حتى يقال إنه يفرط في ميله للنساء؟ بل هو الذي لم يشغل عن جليل أعماله وصغيرها.
بل هو الذي ((يغلب الملذات في طعامه ومعيشته وفي ميله إلى نسائه فيحفظها بما يملك منها ولا يأذن لها أن تسومه ضريبة مفروضة عليه ولو كانت هذه الضريبة بسطة في العيش ينالها أصغر المسلمين ولا شك في قدرة النبي (ﷺ) عليها لو أراد)).

ويقول في موطن آخر: كان النبي (ﷺ) ((معروفاً من صباه إلى كهولته فلم يعرف عنه أنه استسلم للذات الحس في ريعان شبابه ولم يسمع عنه أنه لها كما يلهو الفتيان حين كانت الجاهلية تبيح ما لا يباح بل عرف بالطهر والأمانة، واشتهر بالجد والصدق.
يقول العقاد:

((لو كانت لذات الحس هي التي سيطرت على زواج النبي (ﷺ) لكان قد تزوج بكرةً بدلاًً من خديجة أو أبكاراً وهو في سن الخامسة والعشرين)).

القسم الثاني

- ١ المرأة في حضارات غير إسلامية
- ٢ نصيب المرأة في الميراث
- ٣ الحاجة إلى الحدود والقصاص
- ٤ اتهام مردود
- ٥ ضوابط شرعها الله في القصاص والحدود

المرأة في حضارات غير إسلامية

إنَّ مما يعين على مزيدٍ من المعرفة بمكانة المرأة في الإسلام أن يُلم القارئ بمنزلة المرأة في حضارات أخرى غير الحضارة الإسلامية. ولهذا كان من الحق الذي لا مندوحة عن معرفته، أن نلم بمنزلة المرأة في عدة حضارات، ومن شأن هذا الإلمام أن يفسح مجالاً للموازنة والاستنتاج. وما زالت الموازنة سبيلاً مسلوكةً إلى معرفة الصواب من الخطأ، والتمييز بين الفاضل والمفضول.

ولما كان استيعابنا للحضارات ذات الطابع العالمي غير كاف؛ لم نجد بُداً من استصحاب آراء بعض الغربيين.

❖ (ول ديورانت) الأمريكي، والأستاذ الدكتور (جوستاف لوبون) الفرنسي، والأستاذة الدكتورة (زيغريد هونكة) الألمانية. حيث تناولوا المرأة في حضارات وأمم متعددة.

فأما الصين، فقد كانت المرأة تحتل مكانة مهينة، حتى لقد كتبت إحدى سيدات الطبقة العليا في تلك البلاد العريقة رسالة تصف فيها مركز المرأة. ومما جاء في تلك الرسالة هذه الكلمات:

((نشغل نحن النساء آخر مكان في الجنس البشري، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال. وقد ذكروا في أغانيهم: ألا ما أتعس حظ المرأة، إذ ليس في العالم كله شيء أقل قيمة منها.

إن الأولاد الذكور، يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة سقطوا من السماء، أم البنات، فإن أحداً لا يُسرّ بمولدهن، وإذا كبرن اختبأن في حجراتهن يخشين النظر في وجه إنسان، فإذا اختفين من منازلهن فإن أحداً لا يبيكين ولا يهتم باختفائهن لأنهن من سقط المتاع)).

وأما في الهند، فإن في أساطير (مانو): ((أنه عندما خلق النساء فرض عليهن حب الفراش والزينة والشهوات الدنسة والتجرد من الشرف وسوء السلوك.. فالنساء دنسات، دنس الباطل نفسه)).

في تشريع (مانو)، أن الزوجة الوفية، ينبغي أن تخدم سيدها الذي هو زوجها كما لو كان إلهاً معبوداً ثم لا تأتي شيئاً من شأنه أن يؤلمه. وعلى ذلك كانت المرأة تخاطب زوجها خاشعة وهي تتأديه بكلمة يا مولاي، أو كلمة يا إلهي. وقلما يوجه إليها زوجها كلمة واحدة، ولم تكن تأكل معه بل كانت تأكل مما يتبقى منه.

أما اليونان، فإن المرأة لم يكن لها دور في الحضارة اليونانية إذ كانت معزولة عن المجتمع تعيش في أعماق البيوت كأنما هي من سقط المتاع.

أم الرومان، فإن الرجل في عهد الجمهورية الأولى، كان رب الأسرة ورئيسها الديني وحاكمها السياسي، ومديرها الاقتصادي فإليه ترجع الحقوق كلها، لأنه هو الذي يملك وهو الذي يبيع ويشترى ويتعاقد ويتصرف في جميع شئون أسرته، من حيث إن المرأة لم تكن لها أهلية أو شخصية قانونية، إذ كان القانون يعتبر الأنوثة سبباً أساسياً في أنعدام الأهلية كحداثة السن والجنون.

ومع أن اليهودية في الأصل دين سماوي له احترامه، لا يمنعنا ذلك من أن نقرر أن مواريث البداوة دعت بعض طوائف اليهود إلى اعتبار البنت في مرتبة دون مرتبة أخيها، فهبطوا بها حتى سووها بالخدم.

تقول الدكتورة ((زيغريد هونكة)) المستشرقة الألمانية، في كتابها ((شمس العرب تسطع على الغرب)) تقول:

((إن تقديس المرأة وخطبة مودتها، من الأمور التي لا تتفق مع أصول المجتمع الجرمانى. وقد عارض الكتاب المقدس أيضاً ذلك المسلك العربي ونص على أن الرجل سيد المرأة، ونشطت الكنيسة في محاربة كل الأفكار التي تخالف ذلك، وغايتها إبقاء المرأة تحت سيطرة الرجل تبعاً لمشيئة الرب.

وعلى الرغم من هذا، قاوم العرب كل التيارات المعادية واستطاعوا القضاء على هذا العداء للمرأة وللطبيعة وجعلوا من منهجهم مثلاً احتذاه الغربيون دون أن يملكو منه فكاكاً.

وإذا كانت تلك الكلمات المنصفة صادرة عن سيدة فضلى في الغرب، فأليك كلمات الدكتور جوستاف - أيضاً - ذكرها بعنوان أحوال النساء في حضارة الهند.

قال الأستاذ (جوستاف): لم تكن المرأة عروساً مدللة، ولا ربة منزل محترمة، فقد اتضع شأنها وبدا في شريعة (مانو) على هذه الصورة التي تقرر واجبات النساء ملخصة في أنهن يربين أولادهن ويدبرن أمور منازلهن، على أن تكون المرأة تحت وصاية دائمة وتقضى حياتها مطيعة، فليس للنساء أن يصنعن الأشياء كما يردن ولو في بيوتهن.

فالمرأة تحت رعاية أبيها في صباها وتحت رعاية زوجها في أيام فتوتها وتحت رعاية أبنائها في شببتها وليس لها في أي حال أن تسير كما تريد.

والمجتمع الهندي القائم على نظام الطوائف يفرق بين الطوائف تفريقاً مطلقاً، والمرأة التي تخالف هذا النظام تفقد حرمتها، وقد أسى الظن بقلبها ومشاعرها.

ولذلك يجب على الأزواج بحكم تلك الشرائع أن يراقبوا سلوك نساءهم، وعلى المرأة أن تنظر إلى زوجها في كل حال، نظرهما إلى إله قوي قدير واجب الاحترام، مهما كان الزوج فاسد السيرة عاطلاً من الصفات الحميدة منهمكا في ضروب العشق والغرام، والمرأة إذا لم تكن وفية لزوجها فإنها تغدو عرضة للخزي في الدنيا وتبعث بعد موتها في بطن ثعلب، أو تصاب بعد زوجها بالسل والجذام)).

هذا. ولست أجد مندوحة عن روية بعض كلمات الأستاذ الدكتور ((ول ديورانت))

((إن المرأة لا تقتصر قدرتها على تضليل الأحمق عن جادة السبيل، بل هي قادرة على أيضاً على تضليل الحكيم؛ فهي تستطيع أن تمسك بزمامه وأن تخضعه لشهوتها.

ولقد نص التشريع في حضارات الهند على أن المرأة ينبغي أن تكون طول حياتها تحت إشراف الرجل، فأبوها أولاً، وزوجها ثانياً، وابنها ثالثاً. وكانت الزوجة تخاطب زوجها في خشوع قائمة له:

يا مولاي وسيدي بل يا إلهي، وإن الزوجة الوفية ينبغي أن تخدم سيدها بوصفه إلهاً لها مهما تكن حالته خالية من جميع الفضائل.

ولم يكن نساء الهند يتلقين تعليماً إلا إذا كن من سيدات الطبقة الراقية أو من بغايا المعبد. ذلك أن فن القراءة كان لا يلقى في عرفهم بالمرأة لأن سلطانها على الرجال لا يقوى بالتعلم، بل يؤدي إلى نقص فتنتها كما يقول طاغور شاعر الهند: إن المرأة يسعدها أن تكون امرأة فقط تلف نفسها حول قلوب الرجال بابتسامتها وخدماتها وتهداتها وملاطفاتها. فليس من حقها إذن أن تلم بالكتب المقدسة وإذا درست هذه الكتب كانت هذه الدراسة علامة الفساد في المملكة.

إن البراهمة الذين هم رؤساء الدين والدولة يحولون بين زوجاتهم وبين دراسة الفلسفة لأن النساء إذا عرفن فلسفة اللذة والألم والحياة والموت؛ أصابهن مس من الجنون.

إن هناك ثلاثة أشخاص لا يجوز أن يملكوا شيئاً في تشريع (مانو) وهؤلاء الثلاثة هم الزوجة والابن والعبد. علاوة على أن المرأة في اليهودية حسبما ما وُرد في صحيح مسلم عن أنس: أن اليهود كانوا لا يؤاكلون مع المرأة إذا حاضت ولا يجتمعون معها في بيت واحد.

تلك خلاصة ما ذكر عن منزلة المرأة في حضارات غير إسلامية وإجمال ما كانت تعانيه المرأة في تلك المجتمعات الحضارية.

❖ إن إنسانية المرأة لم تكن موضع اعتبار لدى الرجل، بحيث لم يكن لها جهد معلوم، أو دور مقرر تسهم به في تنظيم المجتمع حتى لقد هبط بها بعض القائلين على شأنها إلى منزلة أذنت لهم أن يتساءلوا فيما بينهم: هل المرأة إنسان له روح، أو هي حيوان نجس لا روح له؟!

❖ وانظر إلى تكريم الله سبحانه للمرأة في ظل الإسلام { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }^(١)

لقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقها لتسمو إلى منزلة رفيعة في باب الإنسانية، وأهم حقوقها أهليتها لتملك التصرفات المالية. وذلك أن الإسلام بمنحه المرأة العقل والمواهب الروحية التي تتلقى بها شرف التكليف الإلهي، قد أعطاهما من باب أولى أن تكون أهلاً لما دون ذلك من حق التصرفات المالية على اختلاف أنواعها، وعلى ذلك كان لها أن تملك الضياع والدور وسائر أصناف المال، ولها أن تمارس التجارة وسائر تصرفات الكسب المباح، ولها أن تضمن غيرها كما يضمنها غيرها، ولها أن تهب الهبات وأن توصي لمن تشاء من غير ورثتها، ولها أن تخاصم غيرها إلى القضاء بنفسها أو بمن توكله عنها.

وما أجمل ما يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: إن هذه الدرجة التي رفع الله إليها النساء، لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده.. وهذه الأمم الأوربية التي كان من تقدمها الحضاري المبالغة في احترام المرأة لاتزال دون هذه الدرجة التي بلغها الإسلام بالمرأة ولا تزال بعض القوانين الأوربية تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها.

¹ - (الحجرات، ١٣)

❖ والإسلام جعل للمرأة حقاً في قبول أو رفض من يطلب يدها وليس لوليها حق في أن يجبرها على قبول من لا تريد ولا أن يمنعها من الزواج بمن رضيته من أهل الخلق والدين، فذلك شأنها وحدها، بل إنه من أخص خصائصها تتصرف فيه بالمعروف على ما ترى فيه استقرارها وألفتها، وفي هذا جاء قوله عليه الصلاة والسلام: عن عبد الله بن الفضل بإسناده ومعناه وقال:

((الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر يستأمرها أبوها)). وفي ذلك قال ابن القيم: إنَّ البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها في أقل شيء من مالها إلا بإذنها. فكيف يجوز أن يخرج نفسها منها بدون رضاها، ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره. فإذا أهدر وليها هذا الحق فزوجها وهي كارهة. فهي بالخيار ثيبة كانت أو بكراً فإن شاءت أمضت فعل وليها، وإن شاءت ردتته. وقد روى البخاري ومسلم أن بنتاً زوجها أبوها وهي كارهة فردها رسول الله (ﷺ).

● إن للمرأة أن تمنح في الحرب والسلام حمايتها لمن أرادت من غير المسلمين. على ما جاء في فتح مكة من أن أم هانئ أخت علي كرم الله وجهه أجارت رجلاً مشركاً فأبى أخوها (علي) إلا أن يقتله فأسرعت أم هانئ إلى رسول الله تقول له لقد زعم ابن أبي أنه قاتل رجلاً قد أجرت وبذلت له حمايتي. فقال رسول الله (ﷺ): ((قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ)) وهو حديث متفق عليه، وسند ذلك في الإسلام قوله عليه السلام: المسلمون تتكافأ دماؤهم وأموالهم ويسعى بذمتهم أدناهم)).

● ولا نشك في أن كلمة المسلمين صفة جامعة للرجل والمرأة، كما اننا لا نشك في أن بذل المرأة حمايتها في حال الحرب أمر خطير خليق بالحدز والاحتياط فتقرير أهليتها وعدم التهاون فيه هو توكيد لثقة الإسلام في المرأة وفي إعلان كرامتها مكانتها في الحياة.

ذلك تقييم الإسلام لإنسانية المرأة وأهليتها، فهي إنسان ذو أهلية دينية، وأهلية اقتصادية، وأهلية اجتماعية. و بذلك يتحتم منطقياً أن يكون لتلك المزايا دورها في الحياة، فإن المواهب إنما تمنح من الحق تعالى لكي تحقق في الأرض مقاصد مقدره، ولا تمنح هذه المعاني الكبيرة عبثاً أو جزافاً. وقد فصل القرآن معالم تلك الأهليات بمثل قوله تعالى:

{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }^(١).

فهذا نص في كتاب الله يتطلب النظر الدقيق، الذي يكشف عن إحاطته وبعد أغواره في إمامه بالحقائق الروحية التي يقوم بها بناء الفرد والمجتمع.

وأول ما تتطلبه الدقة في هذا النص القرآني الشريف، أنه يبين خصائص المجتمع المثالي الذي يصور حقيقة الإسلام وما يقوم بين أفراد من علاقات فلا ينظر للفرد معزولاً عن المجتمع ولا ينظر إلى المجتمع معرضاً عن الفرد، بل ينظر إلى المقومات الروحية التي تكون أساساً في قيام الفرد وقيام المجتمع وهي الإيمان بالله فتكون مقومات أحدهما هي مقومات الآخر نفسها، ذلك أن المجتمع علاقات تتألف مما في قلوب الأفراد وعقولهم من المعاني والقيم والعقائد، فإذا هي رابطة واصله بينهم فكراً وعاطفة، ثم إذا هم مؤتلفون بها كالبنيان المرصوص.

فإذا كان الإيمان في الإنسان محور شخصية الفرد، فإنه متضمن روابط الحب، والتناصر الاجتماعي لأنه ولاء لمثل أعلى واحد تتلاقى عليه ضمائر الجميع وذلك واضح في قوله تعالى

{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ. }

¹ - (التوبة، ٧١)

ولا شك في أن المجتمع المنعقد على الولاء لقيم الإيمان، يتقرر لأهله قاطبة؛ منهاج عام ينتظم المجتمع كله فرادى وجماعات: يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله. إن الإسلام يضع صلاح المجتمع أمانة بين يدي كل مؤمن مستتير وكل مؤمنة مستتيرة ويجعل كلا منهما مسؤولاً عن ذلك فلا يعفي المرأة ولا يستثنى الرجل، لأنه إنما ينظر إلى وصف الإنسانية لا إلى ذكورة ولا إلى أنوثة.

إن المرأة المسلمة الأولى لم تقتحم ميدانها على عماء أو جهل أو تفكك بل اقتحمته على إعداد وتخطيط واضح كي تأخذ مكانها في الصف المتماسك المتعاون الحريص على قيمه ومصالحه ومصيره، فلم تكن المرأة دخيلة عليه ولا هي معفاة منه.

ولعل شبابنا ونساءنا - بهذا الذي قدمنا - يجعلون مناط همهم هذه المعاني الكريمة في غير تزمّت مقيت ولا تعصب مميت، فتلك هي الطريق المفضية بشعبنا العربي العريق وأمتنا الإسلامية المجيدة إلى ما تحقق به الدعائم الثلاث التي لا قيام لمجتمع إلا عليها: الحرية الشاملة، والعدالة الكاملة، والسلام العزيز.

نصيب المرأة في الميراث

إن الإسلام لم يشرع لعصر معين ولا لزمان معين إنما شرع لكافة العصور والأزمان أما من عصبوا أعينهم بعصائب الهوى أو وضعوا عليها غشاوة من الجهل أو التجاهل فلا يمكن لهذه الغشاوة أن تحجب ضوء الشمس ولا يقبل هذا التطاول على شرع الله من هؤلاء ولا ممن سواهم.

ثم ماذا عن نصيب المرأة في الميراث؟

بدلاً من الحمد لله عز وجل على نعمائه بأن جعل للمرأة نصيباً تملكه بعد أن كانت تراثاً يملك وعقاراً يورث تتهجم بعض النساء تدعين حظاً من العلم والمعرفة أو تدعين قدراً من الفهم والحكمة. ولو تأملنا بعين البصيرة لوجدنا أن حصيلتهن من العلم والمعرفة زاد مشوش مدسوس من حقد الغربيين ينقله بعض المتمسلمات على أنه فكر وأقول حقد لأن واقع الغربيين بالنسبة للمرأة واقع مريع، فالفكر الغربي لا يعطي للمرأة حقاً في التملك.

بل ولا تستطيع المرأة أن تصرف شيكاً من البنك إلا بضمان الزوج.

وتحت اسم الحرية العقلية يتهمون على الإسلام في نظرتهم للمرأة لقد أعطاهم الإسلام نصف ما للرجل فماذا أعطيت في دين غير الإسلام؟

وماذا أعطيت في حضارتكم معاشر الغربيين؟

إن الإسلام أعطى للمرأة:

(١) حقها في اختيار الزوج فالبكر تستأمر والثيب تستأذن .

(٢) حقها في الميراث وهو نصف نصيب الرجل.

(٣) حقها في المحافظة على شخصيتها وكيانها ولا تذوب في لقب أسرة زوجها.

أم لماذا نصف نصيب الرجل في الميراث.. فالمسؤولية المالية في الإسلام تقع على الرجل منذ البلوغ كداً وإنفاقاً.

- ينفق لیتزوج فیدفع المهر وليس على المرأة مهر تدفعه.
- ينفق على بيته وأسرته بعد الزواج وليس على المرأة أن تنفق وإن ملكت الأموال الطائلة.

- ينفق على أبيه وأمه عند الكبر أو الاحتياج، وليس على المرأة شيء من ذلك

- ينفق على محارمه وذويه في حالة الاحتياج وليس على المرأة شيء من ذلك.

{ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ }^(١)

{ أَسْكِنُوهُنَّ مِمَّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُوهُنَّ لِتَضَيَّقُوا عَلَيْهِنَّ }^(٢)

¹ - (الطلاق، ٧)

² - (الطلاق، ٦)

الحاجة إلى الحدود والقصاص

قال الله عز وجل للملائكة { **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** }^(١)

ولم يكن الاستفهام اعتراضاً من الملائكة فهم عباد الله المكرمون يسبحونه الليل والنهار، لا يفترون، وهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. ولكنه تعبير عن خشية وقوع ما يفسد على الكون نظامه، وما يهدم للوجود قوامه، فكل ما أوجد الله مفتقر إليه، معتمد في كل الأمور عليه، فهو واهب القوى والقدر ومالك القضاء والقدر، يفعل ما يشاء، ويختار. له الأمر كله ويبيده الملك كله، وإليه ترجع الأمور يذعن لعظمته كل الوجود، ويخضع لهيبته كل موجود، وكل ما في الكون ومن فيه خاشع له بالتسبيح والتمجيد والتتزيه. { **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** }^(٢)

ولقد يستشف من قول الملائكة المسبحين العابدين، خشيتهم على الكون المسبح أن يوجد فيه من يخل بانسجامه، ويعبث بنظامه، وكأنهم لا يطيقون أن يوجد في الكون إلا المسبحون. المنقادون لمراد الله - وحين قال الله لهم { **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** }^(٣)

فعله يريد سبحانه أن يكون الخليفة من يسعى إليه اختياراً، ولا يعبده اضطراراً، من تصارعه الأهواء ولا تصرعه، ومن تتقاذفه الأنواء ولا تقتله تجذبه دواعي الشر فيقاومها، وتغريه الشهوات فيغالباها. ولذا أوجد الله آدم وعلمه الأسماء كلها، وأمره ونهاه، ووسوس إليه الشيطان فإغواه. وتاب آدم بعد ذلك إلى مولاه، فاجتباه ربه وهداه.

1 - (البقرة، ٣٠)

2 - (الإسراء، ١٧)

3 - (البقرة، ٣٠)

وأهبطه وزوجه إلى الأرض، ليحمل راية الاستخلاف، ويكذب ويسعى في طول الأرض وعرضها. ولأمر معلوم قتل قابيل هابيل وكان أول دم بشري يراق على الأرض.

ومرت على النوع البشري ألوف السنين قبل عصور الشريعة الكاملة التي ختمت بها الشرائع.

وسكنت في قرارة الضمير الإنساني مخاوف شتى؛ من عاديات الزمان يجزع، ومن ظلم أخيه الإنسان يفزع، وتتقضى الأحقاب والدهور وتتعاقب الرسائل، وتشرق بالضياء في عصور النبوات وكل نبي يبعث لقوم أو أقوام وكان لابد للعقل البشري أن يكتمل حتى يوافيه من الله ذي الجلال شريعة الاكتمال والكمال والإكمال شريعة ومنهج ضمهما كتاب هو كتاب الله الكريم وقرآنه العظيم معجزة الله الخالدة الباقية على مر العصور المتحدي بها مهما تعاقبت الدهور.

وكان لابد من تشريع يكتمل به ماسبق، ويكون حكماً فيما حل أو لحق..

{ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }^(١)

لا يعقب عليه معقب، من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه أجر. ذلك هو كتاب الله، حبله المتين، وصراطه المستقيم، جاء ليحفظ للإنسان كرامته، ويبقى عليه حرите ويرعى فيه فطرته، وينشر في الوجود حكمته ويذيع في الأكوان رحمته.

فأنزل فيما أنزل زواجر للطغيان، وروادع للظالمين من بني الإنسان. شرع القصاص وشرع الحدود على من قتل عمداً بغير حق أحد أبناء جلده. وعلى من اعتدى على حرمة، أو قذف الغافلات المؤمنات. أو أخذ حقاً من حقوق غيره سراً أو جهاراً.

¹ - (فصلت، ٤٢)

ومن أسف أن يهب الجاهلون الغافلون الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، ويجهلون أو يتجاهلون ماهو واضح من ثمار الأمن والأمان على الدماء والأموال والأعراض. ويهجمون على ما شرع الله من حدود. ظانين أنهم أحرص على الناس من خالقهم، وأبر بهم من بارئهم. أما لماذا استأثر الله ببيان الحدود والقصاص فلأنه أراد أن يستأثر بها ولا يسأل عن ما يفعل.

أما ثمار ذلك في المجتمع:

١- إن المجتمع لو ترك له وضع هذه الحدود وتلك القواعد لوضعها واضعون من أبنائه والإنسان غير منزّه عن نوازع الميل إلى النفس وإلى من يحب ويهوى وإلى من يرتبط به بنوع من الروابط النفسية والأسرية، والاجتماعية. والقوانين العامة. إذا وضعها البشر فلا بد أن يرقبوا مصلحة خاصة لهم أو لذويهم.

٢- إن المجتمع ليست له عيون ترقب، وإن راقب الرقيب كانت رقابتهم عاجزة قاصرة تحدها قدرة محدودة. ويحدها حيز مغلق، وتحدها مسافة طويلة ويتحكم فيها ضوء شديد أو ضوء خافت.

٣- إن عين المجتمع البشري إن سهرت ^ككلت، وإن نامت غفلت ولا اطلاع لها في الحالين ولا رقابة.

٤- إن عين المجتمع البشري وإن أحاطت بظواهر الأشياء ليس لها قدرة على الإحاطة ببواطن الأمور.

ولكن إذا رببت المجتمعات على رقابة الله والخوف منه. فهو الذي لا يغيب ولا يغفل ولا ينام وهو العليم ببواطن الأمور وظواهرها.

لا تخفى عليه خافية لا يحد علمه حدود ولا تحجبه سواتر أو سدود حجابة النور، لا يخفى عنه مستور، ولا يحجب عليه ما في الظلمات لا مدى لرؤيته، ولا قيد على قدرته خالق المكان فلا يحجبه مكان، ولا يحجب

عنه مكان وخالق الزمان فلا يحكمه زمان، ولا يغيب عنه زمان،
لاتعتوره العلل، ولا يمسه الكلل مشيئته ماضية وإرادته مطلقة وأمره أن
يقول للشيء كن فيكون.

نزل شرعه الفصل، وحكمه العدل يحمي المجتمع من أن يعتدى فيه على
بنيان بناه الله أو على عرض حفظه الله أو على مال صانه الله أو على
مكانة أو كرامة أعلاها الله فجعل حرمة المسلم عند الله أعظم من حرمة
بيته الحرام ((حبث يقول الصادق الأمين (٢) وهو يطوف بالكعبة ما
أطيبك وأطيب ريحك وما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده
لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى منك ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً.

عرض المسلم مصون

وكرامته مصونة

وماله مصون

ودمه مصون

حرم الله النظرة الفاجرة، صيانة للأعراض { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ
وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ
أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ }^(١)
وحرم اللفظة الفاجرة { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }^(٢) وحرم الله عز وجل
مال المسلم أن يعتدى عليه ومن تجرأ على سرقة الأموال. تجرأ على الاعتداء على
الأرواح والأعراض.
وحرم دم المسلم وأكد حرمة.

1 - (النور، ٣٠-٣١)
2 - (ق، ٨١)

{ وَمَنْ يُقْتَلْ مُؤْمِنًا مَّتَعِدًا فِجْزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ

عَذَابًا عَظِيمًا }^(١) وهناك من لا يردعه الآجل ويفزعه العاجل فشرع عقوبات

عاجلة تردع الجاهل وترد إلى الصواب كل غافل.

فمن قتل يُقتل صوناً للمجتمع من إهدار الدم وقتل القاتل قصاصاً بيد ولي

الأمر وليس بيد ولي المقتول ولا أهله وذويه، حتى لا يتحول المجتمع إلى غابة

يتقاتل الضعفاء والأقوياء دون حد لإراقة الدماء.

وحينما يجعل القصاص في يد ولي الأمر يكون أخرى للعدل وأحفظ للدماء.

{ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }^(٢)

• وصان الأموال عن أن تتهب أو تُسرق أو تُغصب مال اليتيم نار { إِنَّ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا }^(٣)

• وأكل المال المملوك للغير. مفض إلى النار.

((كل جسد نبت من حرام فالنار أولى به)). وأيضاً ليس كل الناس

يخافون الآخرة ويخشون عذاباً ما له من دافع.

{ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ }^(٤).

{ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا }^(٥).

فشرع لحفظ المال عقوبة عاجلة تردع الطامعين وترد الشرهين الحاقدين.

الذين يسيل لكل مال لعابهم وتستيقظ لشهوة الامتلاك رغائبهم فالذين

يقطعون على الأمنين سبيلهم ويروعون الغادين الرائحين يبتذون أموالهم.

ويسفكون دماءهم. إنما هم يحاربون الله ورسوله

1 - (النساء، ٩٣)

2 - (البقرة، ١٧٩)

3 - (النساء، ١٠)

4 - (القيامة، ٢٠-٢١)

5 - (الإنسان، ٢٧)

{ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }^(١)

أما الذين يتلصصون يأخذون من ظلام الليل ستراً أو يحتمون من أعين الرقباء سراً وجهراً.

أو يسطون على مساكن غادرها أهلها أو غاب عنها مالكوها.

{ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }^(٢)

وباب التوبة مفتوح أمام من تاب **{ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }^(٣)**

1 - (المائدة ، ٣٣)

2 - (المائدة ، ٣٨)

3 - (المائدة ، ٣٩)

أنهار مردود

يتهم بعض غلاة الملاحدة والجاحدين والوجوديين إسلامنا الحنيف بأن ((الحدود والقصاص)) قسوة وقهر وإذلال للنفس البشرية وتحطيم للمقومات الشخصية وهدم للأدمية.

وأي هدم لأدمية يلحق بمن سمح لنفسه بترويع الأمنين وأي إذلال للنفس طغت وبغت وأذلت الآخرين وأي قهر لشخص بث الرعب في قلوب الغادين والرائحين أليس في قتل الأبرياء قسوة.

أليس في العدوان على الأعراض والأموال قسوة يفعل المجرم جريمته ويقتل القاتل ضحيته ثم إذا عرض على ساحة القضاء لينال الجزاء ارتفعت أصوات المحتجين من الأفاكين الكاذبين لا تقتلوا القاتل فني قتله قسوة أو في ترك القاتل ليقتل المزيد.

رحمة ورحمة بمن؟

من أولى بالرحمة؟

أيتسلل المجرم إلى الديار ينهب أموالها أو يهتك أعراسها؟ وإذا وقع في قبضة العدالة ليغسل المجتمع عاره ويجعله عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين وذكرى للغافلين يصيح الصائحون. في دينكم قسوة وفي طبعكم غلظة.

متى يكون الحكم على المجرمين قسوة؟

- لو أن العقوبة لا تتناسب مع المخالفة ولكن تزيد وتربو.
- لو أن العقوبة لا تعم كل من خالف ولكن ينجو منها ذوو الحظوة أو الجاه.
- لو أن العقوبة لا تؤتى ثمارها في النفس ولا في الغير.

ضوابط شرعها الله في القصاص والحدود

لقد شرع الله حدوداً مانعة وعقوبات رادعة تمنع الشر وتحيط المجتمع الإنساني بسياج من الخير، تُصان فيه الأعراس والحرمان، وتحفظ فيه الأموال، وتُسد فيه الذرائع وتُمنع عنه الشبهات.

والناس فريقان:

فريق يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه فإن فعل خيراً حمد الله، وإن غلبه ضعفه فأذعن لشيطانه وخضع لهواه. تذكر فأناب ورجع إلى ربه وتاب { **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** }^(١) **وفريق طال عليه الأمد،** ففسا قلبه وجحد، ومال عن الطريق وحرد. يُمني نفسه بالتوبة وما بتائب، ويعد مولاه بالرجوع وما هو بآيب.

{ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** }^(٢).

وإذا كان الوعيد بالعذاب في الآخرة لا يخاف منه الجاحدون ففي القصاص والحدود من الزجر ما فيه إذا نفذت كما يريد الله، أمام ملامن الناس ودون محاباة من أجل جاه أو مال أو قرابة.

وحتى لا يصبح الأمر فوضى لا ضابط ولا رقيب وكل أمر الحكم فيه إلى القضاء والتنفيذ إلى أولى الأمر من أئمة المسلمين والقاتل يقتل إذا توفرت لديه نية العمد، وتواترت عليه أدلة القصد، وجاء بذلك شاهدان عدلان أو رجل وامرأتان.

¹ - (الأعراف، ٢٠١)
² - (الحديد، ١٦)

أو أقر على نفسه بفعل الجريمة النكراء والفعلة الشنعاء وكذا في بقية الحدود فيما عدا جريمة الزنا حيث يختلف نصابها من الشهود وتصبح أربعة عدول، عن الحق لا يحدون وللباطل لا ينصرون ومع الغني لا يتعاطفون وان تكون الرؤية عياناً لا يحيطها لبس ولا يكتنفها غموض، والسارق تقطع يده اليمنى إذا توفرت البراهين وكانت السرقة من حرز حصين، والدافع غير الجوع فإنه بئس الضجيع، وليس فيه شبهة امتلاك مؤجل أو حال.

وأن يكون المسروق غير تافه في قيمته بالغاً النصاب (٢٥ درهما) أو زاد عليه وشهد بذلك شاهدان عدلان أو رجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء.

وقاطع الطريق يتخذ من الليل الستار، أو يعتدى على الأبرياء في وضوح النهار، أخذاً لأموالهم وترويعاً لأمنهم، أو اعتداء على الحرمات من بنين أو بنات فإثمه عند الله عظيم وإجرامه في البشر جدٌ وخيم.

وحدٌ ذلك يخير فيه الإمام أدناه قطع اليد والرجل من خلاف أو النفي من الأرض أو القتل أو الصلب ولعلٌ وحجم الجريمة وآثارها المترتبة عليها.

والزاني البكر يجلد مائة جلدة والزاني المحصن يرحم حتى يفضي إلى الموت. أما لماذا الرجم للمحصن فقد أراد الله ذلك وإن خفيت العلة لكن الحكمة تستلهم بتوفيق الله وبإلهام منه جل في علاه إن شاء:

❖ إن من كان سبباً في أن تُهدى الحياة إلى مولود غير شرعي كان أحرى أن يُسلب الحياة التي منحها عن طريق شرعي ومن ذاق نعمة المتعة الحلال فنشدها في حرام حرم متعة الحياة ذاتها، لأنه منعم بما أحل الله فكيف يطلب لنفس المتعة فيما حرم الله.

❖ ناهيك عما قد يسبب ذلك الفعل الأثم من إحراج بالغ لمن وقعت عليها الغواية. وقد تدفع حياتها ثمناً لفعاليتها. أما ما يقوله المغرضون الجاحدون من الفاسقين ممن تاهت بصائرهم وزاغت أبصارهم من اتهام للإسلام بالقسوة.

فلو وازن هؤلاء بين رحمة الله الناجمة عن إقامة الحدود؛ صيانة للمجتمع من الرذيلة، وغرساً لأصول الفضيلة، وبين ما يدعون إليه لأدركوا فداحة الخطب لو نفذ ما يدعون إليه.

ولو تعرض واحد من هؤلاء الملاحدة لترويع على أيدي السارقين، أو لإرهاب على أيدي القتلة السفاكين أو واجه الموت على يد قاطعي الطريق من الخاطفين ما حكم بسوى قتل السارق وحرق الخاطف والمغتصب.

لو واجه هؤلاء ما يواجه الناس من أخطار أو ما تعانيه الأسر من أكار. وما يضيع من حرمان وما يهدم من عائلات فراراً من المهانة المزرية في جرائم العرض من قتل وسفك وغيره على الكرامة المتداعية.

ولا تطيش الأفهام، ولا تغيب الأحلام في مثل ما تطيش أو تغيب في جرائم العرض.

وإن المتأمل في الضمانات التي أحاط الإسلام بها حدود معارمه يجد أن الله رحيم رحمن.

١- إن هذه الحدود (جوابر وزواجر). بها يرتدع الجاحدون ويزجر المتجرئون وبها يجبر المذنبون فإقامة الحد تكفير للمعاصي وجبر للكسر لدى العاصي. يوم يؤخذ بالنوصي والأقدام وينظر الإنسان حوله فلا يجد إلا عمله إن حسن حسن المأوى وإن ساء ساء المصير.

٢- إن الشهود العدول ضمان لعدم وقوع الظلم في الأرض فالظلم ظلمات يوم القيامة.

٣- جعل العدالة صفة ضامنة للشاهدين حتى لا يحيدا. وإن كانت الشهادة على الوالدين والأقربين. فلا تقبل الشهادة ممن عرف بالخيانة أو لم يتخلق بخلق الأمانة.

٤- وعند الاحتياج إلى شهادة المرأة جعلها نصف الرجل { أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا
فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى }^(١).

ذلكم شرع الله لمن شاء تذكرة وتلك حدوده لمن أراد تبصرة. والله المستعان
وإليه المصير.

¹ - (البقرة ، ٢٨٢)

القسم الثالث

مع الفكر العلماني وجها لوجه

- (أ) الإعاقاة عن التقدم سببها
البعء عن الإسلام
- (ب) لن تطفأ الشمس
أسس الحضارة
- (ج) أسس الحضارة
- (د) فترات التقدم العلمي لدى المسلمين بداية اليقظة لدى الغربيين

للإسلام غايات وأهداف

مقدمة

رداً على ما قيل: إن الإسلام دين الأنبياء والأولياء والقديسين دين مثالي لم ينزل لعامة البشر لأنه حوى الكمال كله.

وهذا كلام مدخول مغشوش حوى باطلاً مغلفاً بألفاظ مدح مشوب بالبغيضاء تحمل في ثناياها عوامل هدم لا بناء هدفها تخدير المحاور. وإيقافه موقفاً محيراً. ولكن نقول: إن الإسلام دين مثالي يريد أن ينقذ البشرية إلى عالم تشيع فيه الفضيلة وتحارب فيه الرذيلة يسان فيه الدم ولا يهدر، وتحفظ فيه الأعراض ولا تهان يأمن الإنسان في ظلّه على نفسه وعقله وماله وولده وعرضه.

ومن هنا كانت هنالك غايات للتشريع الإسلامي نعرضها فيما بعد.

الإمالة عن التقدفم سببها : البعد عن الإسلام

أرأيت إلى الشمس تشرق بعد أن طال ظلام الليل وغلف قلوب الناس وعقولهم، وأطبق على أفهامهم وأفكارهم، وأصم آذانهم وغشى أبصارهم! فما تلبث الشمس إلا قليلاً حتى تبدد ظلام الليل وتتطلق إلى القلوب فتمزق ما غلفها، وإلى العقول فتبدد ما أطبق عليها من ران وتزيل ما أصم الآذان وما غشى البصائر والأبصار.
هكذا كان مبعث النبي محمد (ﷺ).

حيث انطلقت همته إلى القلوب فأيقظتها على عقيدة التوحيد وإلى العقول فأقنعتها بالإيمان بالله الحميد المجيد، وإلى النفوس فأنارتها بالهدى ودين الحق.

ومنذ أن جاء الإسلام إلى الدنيا وهو يدعو الناس كافة إلى الله.. فأخذهم من ظلم الظالمين وطغيان الطاغين من اتباع العباد إلى الانقياد لرب العباد. ولم يكن دين الإسلام لقرية أو لقريتين { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** }⁽¹⁾

ورسول الإسلام (ﷺ) رحمة مهدها ونعمة مسداة

{ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** }⁽²⁾

والمسلم يردد في صلاة يؤديها { **الحمد لله رب العالمين** }

¹ - (سبأ، ٢٨)
² - (الأنبياء، ١٠٧)

والأمة التي اختصت بالرسالة الخاتمة خير أمة أخرجت للناس.

والخيرية هنا خيرية منهج واتباع لا خيرية جنس ولا عرق وإنما بمجرد النطق بالشهادتين والاعتقاد بمقتضاهما ليصبح أي فرد منضوياً تحت لواء هذه الخيرية. ويصبح منوطاً بأسبابها مرتبطاً بمسبباتها وهي ((الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله))

ودين الإسلام إذا كان الله كماله وجماله فإنما كماله وجماله؛ لأنه الدين الخاتم آخر إرسال السماء إلى الأرض.. وهو المهيم على ما سبقه من ديانات سماوية وكتابه مهيم على ما سبق من كتب إلهية.

وما غابت الشمس التي أحييت القلوب، وأنارات النفوس ولكن حجبها ظلمات الغي وكسفت ضوءها غيايات الباطل وقلل من آثارها انصراف أهل الحق عن حقهم حيث حاول بعض أهل الإسلام إخضاع الإسلام للحياة. والإسلام إنما جاء ليعيد صياغة الحياة وفق منهج الله تعالى: **{ فاستقم كما أمرت }^(١)**.

وليس هذا إفراطاً في المثالية لدرجة التعجيز عن التطبيق بل إنه مثالي في ارتفاع الشمس وواقعي في امتداد الضياء إلى الأرض.

وهل يراد لدين الله الذي نزل ليهدي البشرية إلى بارئها أن يكون غير مثالي.

ماذا يراد للدين أن يحوي ليكون واقعياً؟

أيدع الناس هملاً بدون تشريع يحكم؟

أيدع الناس يهيم بعضهم في بعض لا قانون يردع الطغاة ويزجرهم أو يصد العتاة وينهرهم؟.. هل يأتي الدين ليكون واقعياً بإباحة الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

إن الدين جاء ليطهر النفس من الرذيلة.

¹ - (هود، ١١٢)

وليغسل القلب من الفحشاء
وليسمو بالروح على مطالب الهوى
فيكون الهوى تبعاً لما جاء به النبي (ﺭ) ارتقاءً بالمشاعر لا قتلاً لها وسمواً
بالأفكار لا وأداً لمقتضاها.
الإسلام لا يحارب الجسد و رغائبه حتى يقال أنه دين مثالي (يعز على
الإنسان أن يطبق ما جاء فيه) إن الإسلام دين مثالي
يعالج أدواء النفوس والقلوب:

- الإسلام هو الدين الوحيد الذي راعى أصحاب الأعدار من
المرضى والجرحى والزمنى في مسألة الصيام والصلاة والحج.
فرخص لهؤلاء ما لم يرخص لسواهم مما لا مجال للإفاضة فيه
الآن.

- الإسلام هو الذي فتح الباب على مصراعيه لمن يتوب ولم يحمل
الأبناء أوزار الآباء كما يدعي بعض أصحاب الديانات الأخرى {ولا تزروا زرة
وزراً أخرى} (1)

- الإسلام هو الدين الذي أمر العصاة بأن لا يجاهروا بمعاصيهم
سترًا لها عن الناس ونأيًا بالمجتمعات عن إشاعة الفاحشة فيها.
وجعل ذلك الستر أحرى بقبول التوبة لمن تاب.
ففى صحيح مسلم:

عن أبي هريرة يقول: سمعت رسول الله (ﺭ) يقول ((كل أمتى معافاة إلا
المجاهرين. وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً. ثم يصبح قد ستره ربه
فيقول: يا فلان! قد عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يستره ربه. فيبيت
يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه)).

¹ - (الإسراء ، ١٥)

بعض من الغايات في التشريع الإسلامي

1- حرمة الدماء (حرمة النفس)

لقد جاء فجر الإسلام على البشرية وبعضهم يخوض في دماء البعض، تشتعل نار الحروب بين عشية وضحاها لكلمة قيلت أو لبيت شعر أنشد، أو لثارات قديمة استيقظت. وكان لابد من دين يزود عن الحمى ويدفع عن المظلوم ويحرم قتل النفس إلا بالحق.

وكان الإسلام:

نوراً هادياً، ورائداً ودعياً يزع الناس بالقرآن، ثم يزعمهم بالسلطان، ثم يزعمهم بالترغيب كما يزعمهم بالترهيب، ويقول لهم:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ) ((المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى هاهنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)).

{ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى }^(١)

وقد كان هذا أولاً في بدء التشريع ثم آل الأمر إلى غير ذلك كما جاء في قوله تعالى { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا }^(٢)

وقال النبي (ﷺ) في صحيح البخاري

((عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن غلاماً قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيها أهل صنعاء لقتلتهم.

1 - (البقرة، 178)
2 - (المائدة، 45)

فحقت الدماء، وحفظت الكرمات، وساد الأمن والأمان.

(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١)

٢- حرمة العرض

قد سبق أن ألمحنا إلى ذلك في صدر الكتاب ويكفي أن نشير هنا إلى أن الإسلام صان الأعراض عن العبث فليس من حق أحد أن ينال من عرض أخيه قولاً أو فعلاً أو نظراً.

أما قولاً:

{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (٢)

أم فعلاً:

{ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (٣)

وأما نظراً ومشاهدة:

يقول الله تعالى: { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } (٤)

1 - (البقرة، ١٧٩)

2 - (النور، ٤)

3 - (النور، ٢)

4 - (النور، ٣٠)

٣- حرمة العقل

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }^(١) لقد حرم الإسلام كل ما يضر بالعقل ويفسد الفطرة أو يزرع العداوة بين الأفراد.

٤- حرمة العقيدة

{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }^(٢)

٥- حرمة النسل

{ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ }^(٣)
{ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِيئَةً كَبِيرًا }^(٤)
{ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ }^(٥)

٦- حرمة المال

ولأن المال عصب الحياة، به يقام أود العيش وبه تستر الأعراس، وبه يحمي ماء الوجه من أن يراق، وبه يحفظ الحياء وتستبقى الكرامة جعل الشارع الحكيم للمال حرمة، وجعل لمالكه الحق كل الحق في مقاتلة من أراد أن يسلبه أو يغصبه؛ فمن قتل دون عرضه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد..

ولهذا شرع عقوبتين (كما تقدم)

(أ) عقوبة قطع يد السارق.

(ب) عقوبة الحرابة لقاطع الطريق سواء كان مهددا للنفس أو المال أو كليهما.

١ - (المائدة ، ٩٠)

٢ - (البقرة ، ٢٥٦)

٣ - ((الأنعام ، ١٥١))

٤ - (الإسراء ، ٣١)

٥ - (التكوير ، ٨-٩)

وهكذا أحاط الإسلام دنيا الناس بسياج يحفظ الأمن، ويفيض الطمأنينة،
ويكفل استقرار النفس وراحة العقل والقلب، ليتفرغ الإنسان للإبداع ولعمارة
الكون. ولتجاهد الأم في أن تسكب مع التربية في قلوب أبنائها حناناً دافقاً،
فينشأون على الحب لإخوانهم والولاء لمجتمعهم.

لن تطفأ الشمس

دأب أعداء الإسلام على توجيه التهم جزافاً واعتمدوا في هذا على جدل عقيم فمن قائل:

إن الأمم الإسلامية تأخرت بسبب تمسكها بالإسلام فالإسلام هو عائقها الوحيد عن التقدم بدليل أن الدول غير المسلمة أو الدول المسلمة التي اتجهت نحو العلمانية بدأت تخطو نحو طريق التقدم بخطوات جعلتها في آخر القائمة من الدول الصناعية المتقدمة، وذلك أفضل من كونها في صدر العالم الثالث وأقول:

هل تقاس عظمة الشعوب والأمم بمدى تقدمها الصناعي وحده؟

- ❖ أم بمدى ما فيها من قيم سلوكية وأخلاقية؟
- ❖ أم بمدى احترامها للأدمية في كل إنسان؟
- ❖ أم بسماحتها مع الأقليات التي لا تتجه بفكرها لتتوحد مع فكر هذه الدول المتقدمة؟

فماذا أجدى التقدم المادي الذي ألقى بقنبلي الدمار على هيروشيما ونجازاكي...؟
أبهذا المنطق تقاس الأمم ويوزن تقدمها؟ أم مقدار ما يحدث في العالم من دمار وما تضطهد فيه من شعوب وما تذلل به من أعناق القادة والساسة وما يفرض من حصار اقتصادي لمجرد الخلاف في الرأي، ولايهم مئات والآف الضحايا من الأطفال والنساء والشيوخ.

ولكي يكون الإنصاف رائداً لنا. فلا بد أن ننظر إلى غير المسلمين بنظرة واقعية صادقة دون تجنُّ على المنصفين منهم؛ ممن حكموا العقول فاهتدوا ولم يعمهم التعصب فأبصروا.

ونذكر أمثلة من أولئك المفكرين الذين شهدوا شهادة حق لم يعمهم التعصب المقيت ولا الحقد المميت على الإسلام، أن يشهدوا للحق المجرد.

(أ) المفكر الروسي (تولستوي)

يقول:

((لاريب أن هذا النبي (محمداً) من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تنجح إلى السلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا، ويكفيه فخراً أنه فتح الطريق الرقي والتقدم وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلماً ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال)).

٢- اللورد هيدلي

يقول: إن تعاليم القرآن قد نفذت وطبقت في حياة محمد (ﷺ) سواء في أيام تحمله للألم والاضطهاد أم في زمن انتصاره ونجاحه الذي أظهر أشرف الصفات الخلقية التي لا يتسنى لمخلوق آخر إظهارها)).

٣- مايكل هارت

في كتابه العظماء مائة أعظمهم محمد (ﷺ)

يقول لقد اخترت محمد (ﷺ) في أول هذه القائمة ولا بد أن يندهش الكثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك. ولكن محمد عليه الصلاة والسلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات. وأصبح قائداً عسكرياً

ودينياً وبعد ثلاثة عشر قرناً من وفاته فإن أثر محمد عليه الصلاة والسلام ما يزال قوياً متجدداً)).

ويقول مايكل هارت: إن لاختياره النبي محمداً في المرتبة الأولى بينما المسيح في المرتبة الثالثة أسباباً: _

من بين هذه الأسباب :

١- أن الرسول محمداً (ﷺ) قد كان دوره أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى عليه السلام في الديانة المسيحية. وعلى الرغم من أن المسيح عليه السلام هو المسئول عن مبادئ الأخلاق في المسيحية إلا أن القديس بولس.

هو الذي أرسى أصول الشريعة في المسيحية وهو أيضاً المسئول عن كتابة مما جاء في كتاب العهد الجديد (الإنجيل).

٢- أم الرسول محمد عليه الصلاة والسلام فهو المسئول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية كما أن القرآن الكريم نزل عليه وحده. وفي القرآن الكريم يجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم.

٣- والقرآن الكريم نزل على الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كاملاً وسجلت آياته وهو ما يزال حياً وكان تسيجلاً في منتهى الدقة فلم يتغير منه حرف واحد ، وليس في المسيحية شيء من ذلك. فلا يوجد كتاب واحد فيه حكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم)). أي في شموله لتعاليم الإسلام.

٤- إن الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أومن بأن محمداً (ﷺ) هو أعظم الشخصيات أثراً في تاريخ الإنسانية كلها)).

إن الذين يدينون بالإلحاد ويهاجمون دين الله الإسلام إنما يريدون أن يعيشوا عيشة البهائم الرتع.

- **يخرج** الإنسان عارياً لا قيد.
- **يفعل** الإنسان ما يشتهي لا قيد.
- **تنطلق** الفتاة بعد البلوغ خارج البيت تفعل ما تشاء لا قيد.
- **تعود** إلى البيت بالصديق الحبيب، تخلو معه في غرفة نوم أمها لا قيد.
- **تعمل** من الزنا لا قيد.

ماذا في العلمانية من عطاء يحث على التقدم وماذا فيها من بواعث للعمل من أجل التحضر ما مبادئها وماذا قدمت من جديد في الفكر أو الخلق أو الدين؟. لم تقدم العلمانية للإنسانية سوى الافتتان والانبهار بالمخترعات العلمية الحديثة.

- ورغبة الإنسان المعاصر في إدراك ذات الله بحواسه حتى يؤمن به.
- ورغبته في الانطلاق إلى الغرائز يشبعها بدون قيد. إن الحقد الأسود هو الباعث الأوحى والأعمق وراء الحرب التي تشن ضد الإسلام وشأن أعداء الإسلام كمن يحاول قذف الشمس بالحجارة عسى أن يدميها أو يمنعها من الإشراق. أو يمد يده لتعجب ضوءها أن يتسلل إلى النفوس أو يغزو القلوب وأنى له ذلك.

{ **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** }
(٣٢) **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ**
الْمُشْرِكُونَ { (١)

¹ - (الصف ٨ - ٩)

أسس الحضارة

يجمع الباحثون المختصون على أن هناك فرقاً جوهرياً بين المدنية والحضارة..
الأولى تعني التقدم المادي فقط وتعني
الثانية تقدماً مادياً مصحوباً بالقيم الفاضلة الراسخة في أعماق الأمة
وتاريخها وفي سلوك أبنائها واعتقادهم.

الأساس الأول: (العلم)

العلم في نظر الإسلام طريق الخير، سبيل إلى بلوغ الغاية والهدف، ولم يكن
يكرم دين سماوي العلم مثلما كرمه الإسلام وكرم أهله.

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (١)

{ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } (٢)

أول آيات نزلت في القرآن الكريم تبدأ في سورة العلق بالقراءة مفتاح كل
العلوم { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣)
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } (٣)

فالعلم نور من الله يهبه من أخذ بالأسباب واستقام على الطريقة. ونور الله لا
يهدى لعاصٍ.

والعلم في الإسلام يشمل العلوم الدينية التي عليها علاقة الناس بربهم
وبأهلهم وذويهم والعلوم المادية التي عليها صلاح معاشهم الدنيوي وتقدمهم
الحضاري.

وكلا النوعين فرض على كل فرد في العلم الديني وفرض كفاية في العلم
المادي.

١ - (فاطر ، ٢٨)

٢ - (المجادلة ، ١١)

٣ - (العلق ، ١ - ٥)

حتى تتوازن الحضارة والمدنية في تناغم قيمي يحفظ للبشرية ثباتها في مجال التقدم داخل إطار من القيم الفاضلة التي بها تبقى المدنية بمقومات تكفل لها الخلود وتضمن لأربابها المجد والسعادة.

والعلم إن لم تكتفه شمائل
تعليه كان مطية الإخفاق
والمال إن لم تدخره محصنا
بالعلم كان نهاية الإملاق.

الأساس الثاني: العمل

العلم وحده لا يقود إلى تقدم ولا يرقى إلى حضارة ما إن لم يكن مقروناً بالعمل البناء: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كِبْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }^(١) وما قرن الإيمان إلا بالعمل وما قرن العمل إلا بالإتقان والإخلاص. حتى تكون الغاية أشرف الغايات وأسمها ويبلغ الإتقان بالأعمال قمة الإحسان وذراه.

والعمل فريضة على كل قادر عليه:

{ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }^(٢)

إن استخلاف الإنسان في الأرض ليعمل

{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ }^(٣)

{ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }^(٤)

1 - (الصف، ٢-٣)
2 - (التوبة، ١٠٥)
3 - (الأنعام، ١٦٥)
4 - (يونس، ١٤)

{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }^(١)

إنَّ النفوس لا تملك بالقهر وإن قهرت الأجساد ويستطيع أى إنسان بالسلاح المادي أو المعنوي أن يقهر القوالب البشرية ويكرهها على فعل شيء لا تميل إليه ولكن تملك أزمة القلوب لا يكون إلا بغرس شجرة الحب في النفوس وهذا يتأتى في ظلال العدل..

ومن العدل :-

١- إعطاء الأجير حقه قبل أن يجف عرقه كما أوصى بذلك سيد

الخلق ٣

٢- حسن معاملة الخدم:

عن المعرور بن سويد، قال: رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها. فسألته عن ذلك فقال: إنى ساببت رجلاً فشكاني إلى النبي ٣ فقال النبي ٣: أعييرته بأمه ثم قال: ((إن إخوانكم حولكم جعلهم الله تحت أيديكم. فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس. ولا تكلفوهم ما يغلبهم. فإن كلفوهم ما يغلبهم فأعينوهم)).

الأساس الرابع: المواد الخام

إنَّ طريق السلوك الإبداعي في التصنيع لا يعترف بنقطة نهاية ولكن يرصد نقاط إنجاز مرحلية تبدو بعدها للنظرة العابرة كأنها نقاط انتهاء غير أن كل إنجاز عندما يتابعه الفعل المبدع يجد أنه عند التشغيل يكشف عن آثار معاكسة؛ عندئذ يثير مزيداً من التفكير في إدخال قدر من التغيير على سبيل التحسين ثم يتابع آثار التحسين فإذا احتاج الأمر إلى تعديل أفضل قام به وهكذا.

^١ - (الملك، ١٥)

ولقد نلت القرآن الأنظار إلى ما حولنا من مواد خام جعلها الله رزقاً للعباد.

{ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعُّعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ }^(١)

ويقول سبحانه وتعالى:

{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }^(٢)

الأساس الخامس: المال

اهتم الإسلام بالمال مصدراً، واهتم بالمال إنفاقاً ففرض أن يكون الحل مصدراً والحل مصباً إنفاقه..

وجعل من الصدقة الجارية إنشاء المشروعات النافعة، ودعم مصالح العباد.. وجعل من حق الدولة فرض الوصاية على من كان مهتماً له ومسرماً فيه.

وحت على إعداد كل ما فيه أسباب القوة والمنعة وغني عن الإيضاح أن إعداد السلاح في الآية الكريمة التي سنذكرها يختلف عن شرائه.. وقد غاب عن

¹ - (ق، ٦-١١)
² - (الحديد، ٢٥)

كثيرين أن هذه الآية الكريمة تدعو إلى النهضة الصناعية الكاملة التي بها تتحقق القوة بل والنهضة الزراعية الكاملة التي يتحقق بها العزة تعالوا نطالع في كتاب الله:

{ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تظلمون }^(١).

فللفظ (ما) هنا دلالاته على العموم والشمول لكل ما يحقق القوة والرهبة. حتى لا يفكر أحد في العدوان على أمة الإسلام.

ومن المسلم به أن السلاح يرهب العدو إذا كان من صناعي أنا لا من صنعه هو. وأن العدو إذا تحكم في سلاحه ولقمة خبزي فهل أكون قويا حرا وهل تتحقق القوة بأن أجعل بلدي سوقاً لسلاحه أو سلعه؟
أطلب ما يحتاج فيعطيني ما يشاء حسبما يرى من شروط؟

إن تقصير المسلمين في طلبهم للعلم وعدم استغلالهم للطاقات المتاحة لهم واعتمادهم على غيرهم في سلاحهم وغذائهم كل هذه الأمور معاول هدم لأمتهم، وانتكاس لشعوبهم ولا بد لنا من تصحيح المفاهيم. ولا بد لنا من عودة حميدة إلى جوهر الدين الإسلامي حتى لا ينال من عظمتها الجاحدون أو يسخر منا المارقون، أو يستضعفنا الحاقدون.

الأساس السادس: إتقان العمل

كل الناس يولعون بالصناعات الغربية لأنهم يجدون فيها من الأتقان ما لا يجدونه في الصناعات المحلية. مع أن الإسلام منذ أربعة عشر قرنا مضت دعانا إلى الإتقان وجعله سبباً لحب الله لنا، وقد ورد في المأثور ما معناه:

^١ - (الأنفال، ٦٠)

((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)).

أبعد ذلك يقال : إن الإسلام هو الذي دفع المسلمين إلى الجمود والتأخر.
إن البعد عن الإسلام جوهراً، والبعد عن الإسلام فهماً، والبعد عن الإسلام
تطبيقاً هو الذي أوردنا موارد الذل والخضوع. فهل لنا أن نفيق؟

فترات التقدم العلمي لدى المسلمين

بداية اليقظة للعالم الغربي

لقد سيطر الفكر المنحرف على العالم الغربي والشرقي حيناً من الدهر.. ففي الغرب بعد التحرر من الانقياد المطلق لسلطان الكنيسة ارتدى في أحضان العلمانية والإلحادية والوجودية.

وفي الشرق ارتمت شعوبه في أحضان الماركسية واللينينية وشنَّ الجميع على الدين غارة شعواء وأعلنت المدرسة الجمالية عدم الالتزام بقيم المجتمع الخلقية والدينية وقد بدأت هذه الحملات في القرن التاسع عشر.

حتى قال (أوسكار وايلد): ((ليس ثمة كتاب يوصف بأنه لا أخلاقي).

ولقد عانت أوروبا وما زالت تعاني إفلاساً في الفكر، وطفولة في العقيدة، وخواء في الأخلاق. وعانت الحضارة الغربية - كما يقول الدكتور (أكرم العمري) من خيبة الأمل وضياع اليقين وضياع المثل وانعدام روح الدين وهذا يعرض الأمم للسقوط.

وقد عبر عن ذلك (كولن ويلسون) أعلن بأنه يتوجس خفية من حضارة العصر التي يحيها الغرب والعالم معه والتي هي سبب لكل ما يلايقه الإنسان المعاصر من شرور ولما طبعت عليه حضارات الغرب من انحلال وفساد وترف.

ترى طبيباً كبيراً (ألبرت شفيترز) يرحل إلى أفريقيا هرباً من الحضارة الأوروبية المعاصرة وماجرته على الإنسان من قلق وتوتر واضطراب وعدم استقرار. والمؤرخ الانجليزي (توينبي) يتنبأ بانهاية حضارة الغرب المعاصرة مثلما انهارت حضارات (روما).

(كولن ولسون): يرى أن العالم اليوم يمر بنفس الظروف التي مرت بها حضارة الرومان عند انهيارها أثناء انتشار المسيحية.

(رجاء الله جارودي): يأتي ليعلن سقوط الحضارة الغربية وحتمية الرجوع إلى الإسلام وحضارته الخالدة.

((إن سماحة الإسلام وأخلاقه، ونورانية تكاليفه وسموها جعلت كثيراً من مفكري الغرب يتحللون من عقائدهم ويتخلفون من مذاهبهم ويفيئون إلى فطرتهم، فيجدون أن الإسلام هو توأم الفطرة)).

ينميها ولا يعاديها، يرقى بها ولا يحطمها، يستمطر ما بها من فضائل ليغمر بها البشرية سمواً في الغاية ونبلاً في المقصد ونظافة في السلوك.

لقد كانت حضارة الغرب قبساً من نور حضارة الإسلام ثم انحرفت إلى حيث فوضى المال والجنس والترف والاستبداد والطغيان وروح الاستعمار وجنون الإلحاد والكفر بالدين.

يقول (غو ستاف لوبون):

إن العرب كانوا المحدثين للغرب وأئمة له في ستة قرون وعن طريقهم اهتدت أوروبا إلى تراث الإغريق وكشفت عن ماضيهم.

ويقول شاعر الإسلام محمد إقبال:

مثلت حضارة الغرب دورها

وقد شاخت وهرمت

أينعت كالفاكهة وحن قطافها

وسوف ينهار العالم الذي حوله مقامرو الغرب إلى حانة من الفساد. ولقد رأت أوروبا بعينها النتائج المخيفة لمثلها الاقتصادية والأخلاقية والعلمية، ولسوف

تتمخض الإنسانية عن عالم جديد وهذا العالم لا يحسن تصحيحه إلا من بنى للبشرية البيت الحرام وورث إبراهيم ومحمداً قيادة العالم..

إن الإنسانية لابد أن تعود إلى الإسلام فهو الحل الحتمي لإنقاذ الإنسان.

{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا }^(١)

{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }^(٢)

لقد قامت نهضة المجتمعات الأوروبية على أكتاف الحضارة الإسلامية التي أنتقلت إليها عبر بلاد الأندلس وعلى أيدي الصليبيين وكثير من عرب صقلية وأفريقية. حتى بلغ عدد المكتبات في الأندلس في زمن نهضة المسلمين أكثر من سبعين مكتبة عامة، وبلغ عدد ما في مكتبة الأمراء في أسبانيا فقط ٦٠٠ ألف مجلد.

إن تراثنا الإسلامي الذي يشهد بقوة أثر الإسلام إذا استمددنا منه منابع الطاقة الروحية والنفسية تراثٌ جدير أن ينظر إليه نظرات إكبار وإجلال وأن ننفض عنه غبار الإهمال والإغفال، وأن نعرف عليه الأجيال تلو الأجيال. وتعالوا بنا نشير في ومضات سريعة عاجلة إلى بعض المعالم والأعلام:

(أ) فقي البصريّات: (علم الطبيعة) الحسن بن الهيثم هو أول من وضع علم البصريّات منذ حوالي ألف سنة.

(ب) في علم الكيمياء: جابر بن حيان مؤسس هذا العلم وهو الذي اعتمدت عليه أوروبا في نهضتها وترجمت كتبه ١٦٨٢ م إلى اللاتينية.

(ج) في علم الرياضيات: محمد بن موسى بن شاكر هو واضع علم الجبر بأمر المأمون العباسي في القرن التاسع الميلادي. وعنه أخذت أوروبا ولا زالت تسمى هذه

¹ - (الفرقان ، ١)
² - (الأعراف ١٥٨)

المادة باسمها العربي (الجبر) وأولاد هذا العالم موسى هم محمد، وأحمد،
والحسن، هم الذين وضعوا المعادلات الرياضية وعلى هدى من تلك البدايات
كانت تلك المخترعات الهائلة.

وفي فن الطب: ابن سينا، والكندي، وأبو بكر الرازي والكناني حيث
كان لهؤلاء جميعاً باع طويل بل إن أول مدرسة طبية أنشئت في أوروبا على نظام
محكم كانت من إنشاء العرب في إيطاليا.

كما كان للمسلمين اليد الطولى في مجال بقية المعارف التجريبية
الهندسة، الفلك إلى جانب العلوم الإنسانية وعلوم اللغة والفلسفة.
أبعد هذا يقال إن الإسلام معوق للمسلمين عن انطلاقهم للحضارة..؟
إن هذا إلا اختلاق وافتراء.

القسم الرابع

خاتمة المطاف

- ١- احذروا الخطر القادم
- ٢- من أدب الحوار

احذروا الخطر القادم

في ظل العواصف المادية الكاسرة، وطغيان الشهوات الهادرة، وتأجج الرغبات المسعورة، ينبغي البحث عن ملاذ يحمي، وحصن يأمن الإنسان بين أسواره على نفسه وذويه، ويطمئن على حاضره ويتقي بوائق الفوضى الطاغية من أن تعدو على أهله وبنيه..

ولا تؤمن الأهواء بالأهواء، ولا تتقى الرغبات بالرغبات ولا تُصد الفوضى بفوضى، ولا يُحتمى من النار بالنار، ولا تتجو من الغرق باللجوء إلى مكان يغمره الماء.

{ يَا بَنِي آرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ }^(١)

بالاعتصام بواهب القوى والقدر، ومالك القضاء والقدر يكون الأمان ويتحقق السلام.. والويل ثم الويل لمن حاد عن الطريق، وظن أنه غني عن أن يُصح أو يُوجه من أب أو صديق أو رفيق. فالإنسان بنفسه قليل، وفي عزلة ضئيل. فالوحدة تقتله، والعزلة توبقه وتهلكه.

في هذه العواصف العاتية، وفي مواجهة الأمواج القاسية لا مناص من الاعتصام بحبل النجاة حبل الله المتين ولا بد للإنسان من نور يهتدي به

{ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ }^(٢)

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }^(٣)

1 - (هود، ٤٢ - ٤٣)

2 - (النور، ٤٠)

3 - (آل عمران، ١٠٣)

وحبل الله المتين يتمثل في آياته المحكمات التي يجب أن نقف جميعاً أمامها مسلمين ومستسلمين، ومجيبين، فلو علم الله أن الناس ليسوا بحاجة إلى هادٍ من خارج أنفسهم ما بعث رسلاً مبشرين ومنذرين.

ولو كان الخير في الاحتكام إلى الهوى ما أنزل شرعه فرقاناً ونوراً مبيناً.. وإذا كانت ثقة الناس بطبيب مشهود له بالحكمة والخبرة. تدفعهم إلى التزامهم أمام بابيه، وتحثهم على تصديق نصحه وإرشاده وإن كان في النصح إجراء جراحة عميقة لاستئصال داء أو بتر لأحد الأعضاء.

بل ونقوم بشكره بعد نجاح الجراحة، وله منا أعز مكافأة وأعز تقدير، وله من المريض ولاء وود ووفاء..

أفيجوز أن نناقش رب الأرباب ومجري السحاب ومنزل الكتاب ومالك الأبواب.. نناقشه فيما شرع أنعصي أم نطيع إن أقل ما يوصف به الإنسان حينئذ بعد كفره بمولاه جحود نعمائه، ونكران أفضاله.

أفيناقش شرع الله لمن خلق بنفر ممن خلق

{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }⁽¹⁾

ولصالح من نفتح صفحات وصفحات للجدل العقيم، وننأى بأنفسنا عن الصراط المستقيم، فلن يفيد من ذلك مؤمن ولا كافر ولا ملحد ولا موقن، إن مكن الأخطار التي لا عاصم منها سوى الله في طوفان من الشك يجرف أبناءنا من ذوي العقول القاصرة والثقافات المتحررة والمعلومات الضحلة ممن هم دون البلوغ أو على مشارفه.

ويندفع إلى تيار الجرأة على دين الله كل من العلمانيين الكافرين، والملاحدة الجاحدين والطامعين من المتزمتين والمتطرفين وأصحاب الأهواء المغرضين، وأرباب الفتن من الدجالين والكذابين. ممن يأبون إلا الولوغ في

¹- (الملك، ١٤)

المحظورات، وانتهاك المحرمات وارتكاب الموبقات.. لا يباليون بمنكر فعلوه أو بجرم ارتكبه أو بقدس من الأقداس دنسوه أو حرم طاهر بأقذارهم لطحوه.

وهم لا يدرون من وراء ذلك أنهم أهلكوا أنفسهم وأوبقوا أرواحهم وحكموا بالتعاسة على من اهتدى بهم أو رأى رأيهم.. ثم أما بعد!!

أليق أن نتخذ منابرنا مكاناً ينتقص من فوقها شرع الله. وتهاجم ثوابت الدين..؟

إذا فتحنا الجدل في هذه الثوابت نتوقع أن يأتي من يناقش لماذا لم يبح الشارع الحكيم التزوج من الأخوات والبنات والشقيقات وأن يأتي من يطلب تحريم الطلاق ويطلب تحريم تعدد الزوجات وإباحة الزنا وأن يأتي من يطلب العودة إلى عهد الوثنية الأولى

أم كفانا بعداً عن نور الإيمان.

أم كفانا نأياً عن أخلاق القرآن.

{ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** }^(١)

¹ - (ق ، ٣٧)

من أدب الحوار

لقد علمنا سلفنا الصالح أن هناك أدباً يسمى أدب الحديث وأدب الاستماع بمعنى أنني إذا تحدثت شخص أصغيت وإذا سكت وتحدثت أصغى. (وهذا نوع من أدب الحوار).

ولا يصح بحكم هذا الأدب ما نراه في القرن العشرين من مداخلات وكأن الكلام والمبادرة إليه كرة يتقاذفها اللاعبون في ساحات الأندية وقد أدبنا النبي (ﷺ) بهذا الأدب حينما ضرب المثل والقُدوة.

عندما جاءه أبو الوليد يعرض عليه أمور لعله يقبل أحدها.

وصبر على النبي (ﷺ) حتى انتهى فقال (ﷺ) أفرغت يا عماء فقال أبو الوليد نعم.. فبدأ النبي الكلام. ثم إن أدب المناظرة أو الحوار.. أن تكون الشخصيات المتناظرة متكافئة في العلم والثقافة والمكانة الاجتماعية فلا ينبغي أن تأتي بعالم جليل له مكانته في القلوب على مستوى العالم الإسلامي في مناظرة أمام مدعٍ للثقافة، مُدعٍ للفهم وحصاده من الفهم عن الدين الإسلامي ما تحت درجة الصفر.

كما أن من اللازم أن يتحلى كل الأطراف المتناظرة بالصبر والحكمة والجدال بالتي هي أحسن وإذا نددت من أحد المتناظرين كلمة أو جملة تدل على نفاذ الصبر، أو خروجه عن الجدال بالتي هي أحسن طرد من حبله المناظرة وحسبت لصالح الخصم.

كما أن من اللازم اللازم أن يكون هناك التزام بعدم الخوض في الثوابت والتهجم عليها وبخاصة إذا كانت من شرع الله ولكن الذي يناقش هو الفهم لهذا النص أو ذلك ويُكتفى في أثناء مطارحة القضايا على بساط البحث بمقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل وأن يتوافر لهذه الحجج

والبراهين سمتها المميز لها عن الهرطقة والجدل البيزنطي وأساليب الإثارة والتهم الفضولي والإمساك بطرف كلمة ومحاولة تفسيرها على غير الوجه الذي يقصد إليه المتحدث.

أما أن يتبارى أحد المتناظرين في تسقط كلمات يبني عليها مواقف انتصار زائف أو يلجأ لأسلوب الخطابة في تهجمه على الطرف الآخر بصورة تجمع بين سوء الفهم وسوء الأدب فهذا ما لا نرتضيه لمنابرنا الحرة.

وقد وجدنا أسلوب المناظرة في برنامج: ((الاتجاه المعاكس)) ما يخالف هذه الآداب التي راعيناها منذ مئات السنين من خلال ذلك العلماني الذي حفظ جملاً رنانة يحاول أن يتعالم بها، متخذاً من وسائل الهجوم دفاعاً عن قضية خاسرة تحمل في ثناياها عوامل انهيارها، وأسباب تدميرها وتفككها.

نحن ندين بالإسلام وللإسلام ربُّ شرعه، ونبي أوحى إليه به فمن يا ترى رب العلمانية ومن نبيها؟

وقد ختمت الديانات والرسالات

فهل عقول تفهم؟

أو فهم يعي؟

أو وعي يصدق؟

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ }^(١)

صدق الله العظيم

^١ - (البقرة، ٢٠٤ - ٢٠٥)

المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- كتب السنة.
- ٣- كتب السيرة.
- ٤- الأسرة في الإسلام / أحمد الباقوري
- ٥- الإسلام والعصر / محمد عبد المنعم خفاجي
- ٦- الإسلام يتصدى لأباطيل المستشرقين والملحدين / محمد شهاب
- ٧- مؤمنات خالديات / محمد قطب
- ٨- ما يقال عن الإسلام / عباس محمود العقاد
- ٩- مجلة الهلال عدد يوليو ١٩٩٦ - (مقال بعنوان: الإبداع ونهاية الشوط / مصطفى يوسف)
- ١٠- نظرات في نظم الإسلام وثقافته / مصطفى أبو سمك
- ١١- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه / عباس محمود العقاد
- ١٢- عبقرية محمد / عباس محمود العقاد
- ١٣- العظماء مائة أعظمهم محمد (٢) / مايكل هارت

- كشاف الآيات القرآنية.
- كشاف الأحاديث النبوية.
- كشاف الأعلام.

• كشاف الآيات القرآنية.

الصفحة	الآية	الصفحة	الآية
١١٠	فمن تاب من بعد .. (المائدة، ٩٣)	٩٩	أسكنوهن من (الطلاق ٦)
١٨	قل إن الأمر (آل عمران، ١٤٥)	١٤٨	أفلم ينظروا (ق، ٦، ١١)
١١	قل لئن اجتمعت ... (الإسراء، ٨٨)	١٢، ١٦٥	ألا يعلم من (الملك، ١٤)
١٣٢، ١٠٧	قل للمؤمنين يغضوا من	١١٤	ألم يأن للذين (الحديد، ١٦)
١٣١	أبصارهم (النور، ٣٠، ٣١)	١١٨	أن تضل (البقرة، ٢٨٢)
٣١	قل لو كان (الكهف، ١٠٩)	١٤٤	إقرا بأسم ربك ... (العلق، ١ - ٥)
١٥٧	قل يا أيها الناس... (الأعراف، ١٥٨)	٦٧	إلا تتصروه فقد ... (التوبة، ٤٠)
١٠٩	كلا بل تحبون ... (القيامة ٢٠ - ٢١)	١١٣	إن الذين إتقوا ... (الأعراف، ٢٠١)
١٣٣	لا اكره في الدين .. (البقرة، ٢٥٦)	١٠٨	إن الذين يأكلون..... (النساء ، ١٠)
٥١	لا يحل لك (الأحزاب، ٥٢)	١٧	إن الله مع الذين ... (النحل، ١٣٨)
١٠٣	لا يأتية الباطل ... (فصلت، ٤٢)	٢٨	إن في خلق (آل عمران، ١٩٢)
١٤٩	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات	١٦٧	إن في ذلك لذكرى ... (ق ، ٣٧)
١٥٠	وأنزلنا (الحديد، ٢٥)	١٠٩	إنما جزاء الذين ... (المائدة، ٣٣)
٥٣	لقد جاءكم (التوبة، ١٢٨)	١٤٣	إنما يخشى الله (فاطر، ١٢٨)
١١	لو كان فيها آلهة .. (الأنبياء، ٢٢)	١٠٠	إني جاعل في (البقرة، ٣٠)
٩٩	لينفق ذو سعة من ... (الطلاق، ٧)	١٥٦	تبارك الذي نزل (الفرقان، ١)
٤٨	ما زاغ البصر (النجم، ٧١)	١٤٦	ثم جعلناكم (يونس، ١٤)
٧٠	ما كان محمد ... (الأحزاب، ٤٠)	١٣٢	الزانية والزاني (النور، ٢)
١٧	ما يلفظ من قول ... (ق، ١٨)	٣١	فإن خفتم ألا (النساء، ٣)
١٤٦	هو الذي جعل (الملك، ١٥)	١٢٥	فاستقم كما أمرت... (هود، ١١٢)

١٨	وأطيعوا الله (آل عمران ، ١٣٢)	٣٢	فلا وربك (النساء ، ٦٥)
٣٢	ولو أن ما في (لقمان ، ٢٧)	١١٥٠	وأعدوا لهم . (الأنفال ، ٦٠ ، ٤٩ ، ٥٠)
١٢٤	وما أرسلناك (الأنبياء ، ١٠٨)	٦٢	وإذ تقول للذي ... (الأحزاب - ٣٧ - ٣٩)
١٢٤	وما أرسلناك إلا (سبأ ، ٢٨)	٢٦	وإذ قلنا (الإسراء ٦١ - ٦٣)
٤٧	وما ينطق عن (النجم ، ٣ ، ٤)	١٣٣	وإذا الموعودة (التكوير ٨ - ٩)
٢٥	ومن أصدق من ... (النساء ، ١٢٢)	٣٧	وإن خفتن ألا ... (النساء ، ٣٧)
١٧٠	ومن الناس ... (البقرة ، ٢٠٤ ، ٢٠٥)	١١	وإن كنتم في ريب ... (البقرة ، ٢٣)
١٦٤	ومن لم يجعل الله ... (النور ، ٤٠)	١٠١	وإن من شيء إلا ... (الإسراء ، ١٧)
١٠٨	ومن يقتل مؤمناً (النساء ، ٩٣)	١٦٤	واعتصموا بحبل (آل عمران ، ١٠٣)
١٤٤	وهو الذي (الإنعام ، ١٦٥)	١٣٢	والذين يرمون (النور ، ٤٠)
٣٥	ويسألونك عن (البقرة ، ٢٢)	١١٠	والسارق والسارقة ... (المائدة ، ٣٨)
٣٦	ويستفتونك في ... (النساء ، ١٣٧)	٩٢	والمؤمنون والمؤمنات ... (التوبة ، ٧١)
١٦١	يابني اركب (هود ، ٤٢ - ٤٣)	٢٨	وذر الذين اتخذوا ... (الأنعام ، ٧٠)
١٣٢	يا أيها الذين آمنوا ... (المائدة ، ٩٠)	١٣	وقضى ربك ألا (الإسراء ، ٢٣)
١٤٥	يا أيها الذين آمنوا ... (الصف ، ٢)	١٤٦	وقل أعملوا (التوبة ، ١٠٥)
١٨	يا أيها الذين آمنوا (المائدة ، ١٠١)	٦٢	وكان أمر الله ... (الأحزاب ، ٣٧)
١٨	يا أيها اذين (آل عمران ١٥٦)	١٣٠	وكتبنا عليهم (المائدة ، ١٤٥)
٨٩	يا أيها الناس إنا ... (الحجرات ، ١٣)	٢٦	وكذلك جعلنا ... (الأنعام ، ١١٢)
١٤٤	يرفع الله الذين (المجادلة ، ١١)	١٢٧	ولا تزر وازرة (الإسراء ، ١٥)
١٤٩	يريدون ليطفئوا ... (الصف ٨ - ٩)	١٣٣	ولا تقتلوا أولادكم ... (الإسراء ، ٣١)
١٣	يوصيكم الله في ... (النساء ، ١١)	١٠٨ ، ١٣٣	ولكم في القصاص (البقرة ، ١٧٩)
		٣١	ولن تستطيعوا أن ... (النساء ، ١٢٩)

• كشف الأحاديث النبوية.

صفحة	الحديث	صفحة	الحديث
١٣٠	٦- كل مسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه بن ماجه	١٤٧	١- إن إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم رواه مسلم
٣٠	٧- اللهم هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملك..... رواه الترمذي	١٣١	٢- إن غلاماً قتل غيلة عمر لو اشترك فيها أهل صنعاء لقتلهم...رواه البخاري
١٣١	٨- لو اشترك فيها أهل صنعاء لقتلهم جميعاً..... موطأ مالك	٩١	٣- الثيب أحق بنفسها، والبكر يستأمرها أبوها..... رواه مسلم
١٣٠, ١٠٦	٩- المسلم أخو المسلم لا يخون ولا يكذب..... رواه الترمذي	٩٢	٤- قد أجرنا من أجرنا يا أم هاني. متفق عليه
		١٢٨	٥- كل أمي معافاة إلا المجاهدين رواه مسلم

• كشاف الأعلام.

الصفحة	أسماء الأعلام	الصفحة	أسماء الأعلام
٦٤	جبير بن مطعم بن عدى	١٠١	آدم
٨٥	جوستاف لوبون.....	١٥٦	إبراهيم (الرسول).....
٥٨	جويرة بنت الحارث.....	٦٦	إبراهيم بن رسول الله.....
٦٦	حسان بن ثابت.....	٩١	ابن القيم.....
١٥٨	الحسن بن هيثم.....	١٦٩	أبو الوليد.....
١٥٨	الحسن بن محمد.....	١٥٩	أبو بكر الرازي.....
٧٤,٦٩,٥٩	حفصة بنت عمر.....		أبو بكر الصديق..... ٧٤,٦٩,٦٧,٦٤,٥٩
٦٠	حيي بن أخطب.....	٦٠	أبو سفيان.....
	خديجة بنت خويلد..... ٧١, ٦٢, ٥٥	٧٥	أحمد حسن الباقوري.....
٧٣	خولة بنت حكيم.....	١٥٤,١٥٣	أكرم العمري.....
١٥٥	رجاء الله جادوري.....	١٥٤	ألبرت شفيترز.....
٥٩	رملة بنت أبي سفيان.....	٧٤	أم رومان.....
٦٢,٦١,٤٩	زيد بن حارثة.....	٧٤	أم سلمة.....
٨٤,٨١	زيغريد هونكة.....	٩٢,٩١	أم هاني.....

٦١	زينب بنت جحش.....	١٥٣	أوسكار وايلد.....
٦٠	زينب بنت خزيمة.....	١٥٩	ابن سينا.....
٧٠	السكران بن عمرو.....	٨٧	البراهمة.....
٧٣,٧٠,٥٦	سودة بنت زمعة.....	٥٨	بني المصطلق.....
٦٦,٦٥	سيرين.....	٦٠	بني قريظة.....
٦١	صفية بنت الاسرائيلية.....	١٠٦	الترمذي.....
٦٢ ، ٥٦ ،	عائشة بنت أبي بكر	١٣٦	تولستوي
٧٣ ، ٧١ ، ٦٩ ، ٦٧ ، ٦٤ ، ٦٣		١٥٤	توينبي.....
١٥٦,١٣٨,١٣٧,١٣٦,٧٦,٥٨,٥٠ (٢)	محمد	١٥٨	جابر بن حيان.....
١٥٨	محمد بن موسى بن شاکر....	٦٠	عبد الله بن جحش.....
١٥٤	محمد عبد المنعم خفاجى.....	٥٩	عثمان بن عفان.....
٩٠	محمد عبده.....	١١٩	العظم (دكتور).....
١٣٦	المسيح عليه السلام.....	٧٨ ، ٧٦ ، ٧٥	العقاد.....
	مصطفى أحمد أبو سمك	٧٤ ، ٧٣ ، ٦٩ ، ٥٩	عمر.....
	١٥٥ - ١٥٧		
١٤٧	المعروف بن سويد.....	١٥٥	غوستاف لوبون.....
٦٥	المقوقس.....	١٥٩	الكناني.....
٧٣	ميمونة بنت الحارث.....	١٥٤	كولن ويلسون.....
٥٩	النجاشى ملك الحبشة.....	١٣٧	اللورد هيداي.....
٥٧	هند بنت أمية.....	٦٥ ، ٦٦	مارية القبطية.....

٨٦ ، ٨١	ول ديورانت.....	٨٨,٨٥,٨٣,٨٢.....مانو	
١١٩	يوسق القرضاوي.....	١٣٧	مايكل هارت.....
		١٥٦	محمد إقبال.....

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	الصفحة
١ -	مدخل إلى البحث	
	ثوابت الإسلام	٩
القسم الأول		
٢ -	باطل يدحضه الحق	١٩
	(١) تعدد الزوجات	٢٥
	(٢) الحكمة في تعدد الزوجات	٣٥
	(٣) تعدد زوجات الرسول ﷺ	٤٥
	(٤) تعدد زوجات الرسول من	
	وجهة نظر الباحثين	٥٣
-	تعليق أسباب التعدد	٦٧
القسم الثاني		
-	المرأة في حضارات غير إسلامية	٨١
-	نصيب المرأة في الميراث	٩٧

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	الصفحة
-	الحاجة إلى الحدود والقصاص	١٠٠
-	اتهام مردود	١١١
-	ضوابط شرعها الله في القصاص	١١٣

القسم الثالث

-	مع الفكر العلماني وجه لوجه	
١٢١	مقدمة : للإسلام غايات وأهداف	
	(أ) الأعاقه مع التقدم سببها البعد عن	
١٢٣	الإسلام	
١٢٩	(ب) بعض الغايات في التشريع الإسلامي	
١٣٥	(ج) لن تطفأ الشمس	
١٤٣	(د) أسس الحضارة	
	(هـ) فترات التقدم لدى المسلمين بداية	
١٥٣	اليقظة للعالم الغربي	

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	الصفحة
القسم الرابع		
• خاتمة المطاف		
١٦٢	(أ) احذروا الخطر القادم	
١٦٩	(ب) من أدب الحوار	
١٧٣	المراجع	
١٧٧	كشاف الآيات القرآنية	
١٨١	كشاف الآيات النبوية	
١٨٥	كشاف الأعلام	